الدكتور عدنان علي رضا النحوي

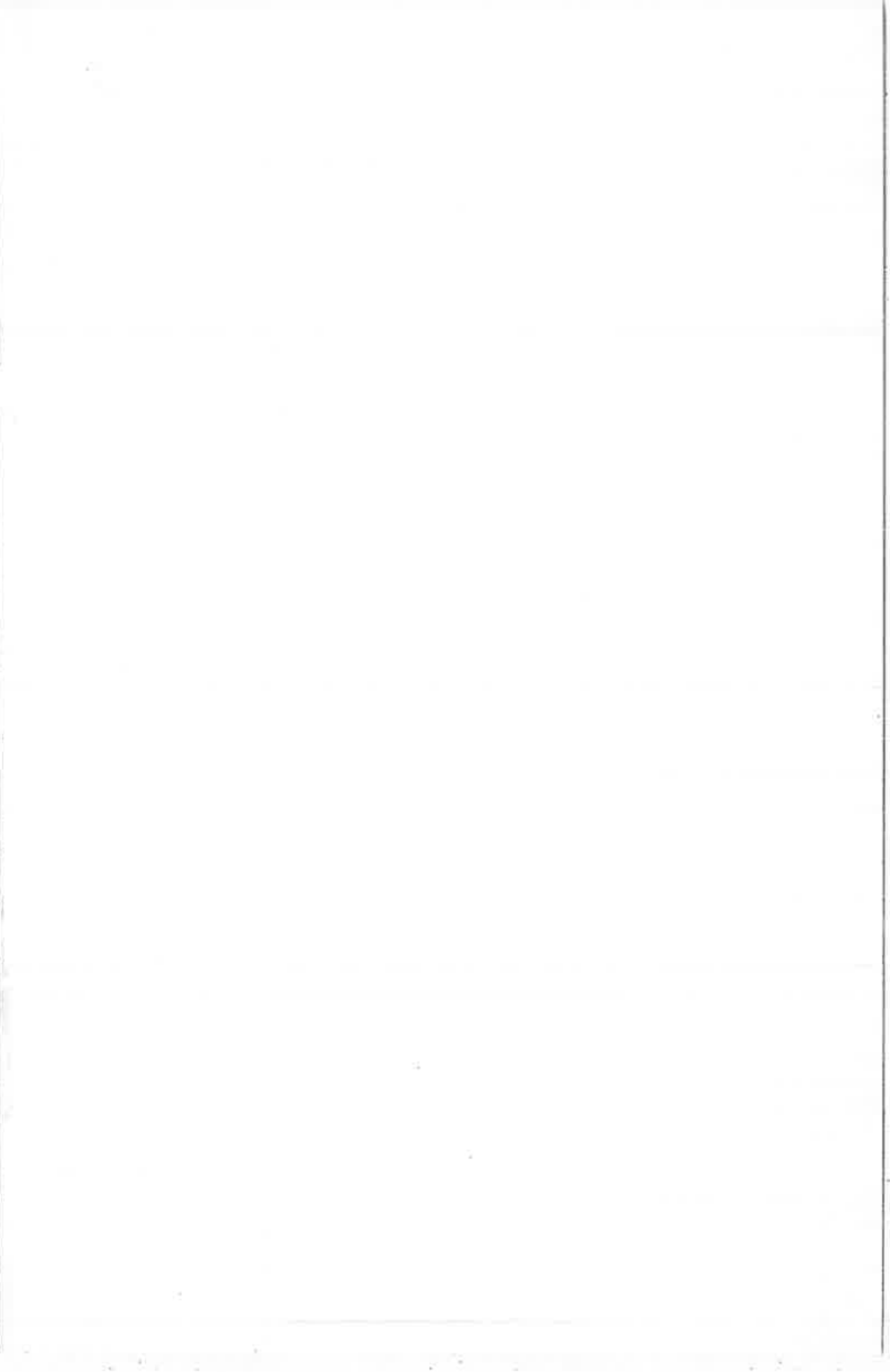
الموجز في دراسة

الأسلوب والأسلوبية



الطبعة الأولى
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

دار النحوي
للنشر والتوزيع



إلى
لقاء المؤمنين
وبناء الجيل المؤمن

الموجـــز
في دراسة
الأسلــوب والأسلــوبية

الدكتور
عدنان علي رضا محمد النحوي

الطبعة الأولى
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

دار النحـــــوي
للنشــر والتــوزيع

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

النحوي ، عدنان علي رضا

الموجز في دراسة الأسلوب والأسلوبية

... ص ؛ ١٤ × ٢٠ سم

ردمك : ٤-٧٢-٦٨٧-٩٦٠

١- الاسلوب الادبي

أ- العنوان

ديوي ٨٠٨,٠٤ ١٤٢٣/٥٠٩٥

رقم الإيداع ١٤٢٣/٥٠٩٥

ردمك : ٤-٧٢-٦٨٧-٩٦٠



الطبعة الأولى
١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م



دار النحـوي للنشـر والتـوزيـع
هاتف : ٤٩٢٤٣٣٩ - فاكس : ٤٩٣٤٨٤٢
موقع الانترنت : www.alnahwi.com
البريد الإلكتروني : info@alnahwi.com
ص . ب : ١٨٩١ الريـاض : ١١٤٤١
المملكة العربية السعودية

الإهداء

إلى الذين يحبون أن يكون للأدب الملتزم بالإسلام نهج بَيِّن متميّز من نهج العلمانيّة والحداثة ومذاهبها.

إلى الأدباء الملتزمين بالإسلام، ليكون الكتاب والسنة واللغة العربية منطلق الأدب الذي نريده تدفعه المواهب المؤمنة في مسيرة تاريخية غنيّة، وإلى الأدباء بعامة عسى أن يظهر الفرق بين نهجين في التفكير، وكذلك في الأدب .

الافتـــتـــاح

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيماً ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب : ٧٠، ٧١]

﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ ﴾

[الحج : ٢٤]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : "كان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كاملاً فصْلاً يفهمه كلُّ مَنْ سمعـه" .

رواه أبو داود

٤٨٣٩/٢١/٣٥

موعظة وذكرى
كلمات نقف عندها

من أجل أن يعرف الدعاة أهمية مسؤولياتهم وخطورتها ، فإننا نقول :

- **إن بناء عمارة مهما عظمت يسهل إذا قيس ببناء الإنسان على قواعد الإيمان والتوحيد وعلى قواعد المنهاج الرباني . فتلك مهمة يقوم بها المهندسون والفنيون ، أما بناء الإنسان وإعداده وتدريبه فهي مهمة بعث الله من أجلها الرسل والأنبياء الذين ختموا بمحمد ﷺ ، ثم جعلها مهمة الأمة المسلمة الواحدة الممتدة مع الزمن .**

* * *

ومن أجل لقاء المؤمنين الصادقين العاملين وبناء الأمة المسلمة الواحدة ، ومن أجل العهد مع الله والعبادة والأمانة والخلافة والعمارة التي خلق الإنسان للوفاء بها في الحياة الدنيا ، فإننا نذكّر بأنه :

- « **يجب أن نتعاون فيما أمر الله أن نتعاون فيه ، ويعذر بعضنا بعضاً فيما أذن الله أن نختلف فيه** » .

* * *

ومن أجل ألا ندَّعي الخوف على الإسلام من خلال الضعف والتقصير والإقبال على الدنيا ، والاحتماء خلف الشعارات وحدها ، فإننا نذكِّر أنفسنا والدعاة والمسلمين والناس فنقول :

- **أيها الناس ! أيها المسلمون ! أيها الدعاة ! كما تظهرون الخوف على**

الإسلام ، مع أن للإسلام ربّاً سينصره بجنود ينصرون الله ربهم ويوفون بعهدهم معه ، فخافوا على أنفسكم حين تقفون بين يدي الله، يسألكم عما فعلتم في الحياة الدنيا ، وهل نصرتم الله كما أمركم وتجنبتم الفتن التي نهاكم عنها ، والصراع والشقاق وتنافس الدنيا ؟ ! خافوا على أنفسكم كما تخافون على الإسلام .

* * *

ومن أجل الاستقامة على الصراط المستقيم ، ومعرفة الدرب الذي يقود إلى الأهداف ، نذكِّر ونقول :

- **إذا غاب النهج والتخطيط على أساس الإيمان والتوحيد والمنهاج الرباني في واقع أيّ أمّة ، فلا يبقى لديها إلا الشعارات تضج بها ولا تجد لها رصيداً في الواقع إلا مرارة الهزائم وتناقض الجهود واضطراب الخطا ، ثم الشقاق والصراع وتنافس الدنيا في الميدان ، ثم الخدر يسري في العروق ، ثم الشلل ، ثم الاستسلام !**

* * *

ومن أجل تأكيد أهمية النهج والتخطيط في الواقع نذكِّر كذلك ونقول:

- **إذا التقى فريقان : فريق له نهجه وخطته ، فعرف بذلك دربه ومراحله وأهدافه ، فنهض وصدق عزمه لها ، وفريق لا نهج له ولا خطة إلا الشعارات يُدَوِّي بها ، فإن الفريق الأول بنهجه وتخطيطه يستطيع أن يحوِّل جهود الفريق الثاني لصالحه ، فيجني النصر ، ويجني الآخر الهزيمة والخسران والحسرة .**

* * *

ومن أجل الاطمئنان إلى السبيل لتحقيق أهداف الدعوة الإسلامية فإننا نقول :

- **إن الأهداف الربانية لا يمكن تحقيقها إلا بجنود ربانيين ووسائل وأساليب ربانية . وهذه وتلك تحتاج إلى بناء وإعداد رباني .**

* * *

ونقول كذلك :

- **من عجز عن إصلاح نفسه فهو أعجز عن إصلاح غيره أو إصلاح المجتمع .**

* * *

- **كم من الذين ينادون بالإصلاح والتغيير هم أحوج الناس إلى الإصلاح .**

* * *

- **من سد أذنيه عن النصيحة فقد فرصة عظيمة لمعرفة أخطائه ، وفرصة أعظم لمعرفة سبيل الإصلاح والعلاج ، وتعرض أكثر للمتاهة والضلال .**

* * *

- **إن الهوى لا يُصْلِحُ بل يفسد ويدمّر ، وإن اتّباع الحق هو سبيل الإصلاح للفرد والأسرة والجماعة والأمة ، وكذلك للبشرية كلها .**

* * *

- **بين الحق والهوى باب ابتلاء وتمحيص . من صدق الله نجا ودخل إلى الحق ، ومن ضل هلك ودخل إلى الهوى .**

* * *

- ليس من الحكمة أن نكتفي بإعلان مبادئ الرحمة والعفو والتسامح والسلام في الإسلام، حين يكون مثل هذا الإعلان مظهراً من مظاهر الضعف والهوان والاستسلام أو يوحي به . ولكن الحكمة والواجب أن نظهر تكامل الإسلام من عفو وتسامح ، ومن عقوبة وحزم ، ومن سلام وحرب ، ومن حكمة وتشريع ، ومن إيمان وتوحيد .

* * *

- إن المعركة مع أعداء الله تبتدئ أولاً في نفسك أيها الداعية المسلم ، فإن انتصرت بها ، فيمكن الانتقال إلى جولة بعد جولة ! وإن هزمت بها فستُهزَم في سائر المعارك !

* * *

إنّ الله سبحانه ،تعالى جعل صراطه الحقّ مستقيماً، حتى لا يَضِلّ عنه أحد. وجعله سبيلاً واحداً حتى لا يُخْتَلَفَ عليه، وجعله صراطاً مستقيماً ليجمع المؤمنين أمّةً واحدة وصفّاً كالبنيان المرصوص.فلماذا تاه المسلمون عنه فتَفرّقوا، واختلفوا عليه فتَمزّقوا، ثمّ ضَعُفُوا وهانوا ؟!

- كلمة المؤمن طيبة ، قوية ، واضحة ، واعية ، لا تنحرف عن الصراط المستقيم . فكلمة المؤمن بَرَكَةٌ للناس ، ونور في الحياة ، وسلاح في الميدان . وهي أساس حرية الرأي ، وأساس النصيحة ، وقاعدة الشورى .

* * *

- لا فقه دون مسؤولية ، ولا مسؤولية دون فقه .

* * *

المقدمة

بعد صدور كتابي (**الأسلوب والأسلوبية بين العلمانيّة والأدب الملتزم بالإسلام**)، دُعيتُ لإلقاء محاضرة عن هذا الموضوع في "كلية التربية - قسم الآداب - اللغة العربيّة - التابعة للرئاسة العامة للبنات" في الرياض، وذلك يوم السبت الموافق ١/ ١/ ١٤٢٠ هـ - ١٧/ ٤/ ١٩٩٩م.

ورأى بعض الإخوة أن هذه الكلمة تقدِّم موجزاً واضحاً عن هذا الموضوع - (الأسلوب والأسلوبيّة) - موجزاً يمهّد لدراسة الكتاب الأساس الذي يعرض الموضوع بالتفصيل، ونصحوا بأن يخرج هذا الموجز في كتيّب يسهّل دراسة موضوع شائك في أذهان الكثيرين، ويوفّر ردّاً إيمانيّاً على الانحرافات التي طلع بها موضوع الأسلوب والأسلوبيّة الوافد مِن الغرب، تلقّفناه بخيره وشره، إن كان فيه خير، ولا أظنّ!

"**الأسلوب والأسلوبية**" موضوع جديد في ميدان الفكر والأدب، ظهر في الربع الثاني من القرن العشرين، وكان أول من بدأ بها "شارل بالي" تلميذ" دي سوسير". ثم انطلقت مذاهبها في تيّارات مختلفة متضاربة مصاحبة لتيّارات الحداثة والبنيوية والتفكيكيّة ومنطلقة منها.

لقد كانت كلمة "الأسلوب" وما يرادفها في اللغات الأُخرى كلمةً واضحة لدى العامة والخاصة، وكان هنالك دراسات وتصورات للأسلوب واضحة كذلك مهما اختلفت فيها وجهات النظر. بل أكثر من ذلك، كانت

الدراسات حول الأسلوب مفيدة للأديب ولما ينتجه الأديب ، مساعدة على نمو العطاء والإتقان والإحسان فيه .

وحسب ما أعتقد ، فقد جاءت الدراسات الحديثة "للأسلوب والأسلوبية" لتطرحه في متاهة واسعة من مظانّ الفلسفة وسراديبها ، دون أن تكون عاملاً مساعداً للأديب أو لعطائه ، أو للأدب بصفة عامة . هذا هو الشعور الذي تملكني وأنا أدرس هذه القضية في متاهاتها المظلمة .

ومهما يكُن من وجهات نظر مختلفة حول هذا الموضوع بين بعض الأدباء ، إلا أن الذي يجب ألا يُختلَفَ فيه هو رفض ما ورد من إساءة للتصوُّر الإيماني ، والإساءة في تأويلٍ فاسد لبعض الآيات الكريمة .

ولا يختلف اثنان أن "الأسلوب والأسلوبية" كما ظهرت في هذا القرن ، هي وليدة الحداثة ومختلف مذاهبها من بنيوية إلى تفكيكية إلى غير ذلك .

يَتلقَّى بعضهم ما يَردُنا من العالم الغربيّ اللادينيّ والعَلماني ، تلقّي القبول والاستسلام ، دونَ أدنى محاولة للتمحيص والتدقيق ، وردّ الأُمور إلى منهاج الله . وقد بلونا من ذلك كثيراً . ولم يدرك بعض أبناء المسلمين أنَّ بَيْنَ ما يَردُنا سمّاً زُعافاً طواه الزخرف المُغْري . والأعجب أن أكثر ما أخذناه كان في ميدان فتنة الفكر والخلق ، وفساد الممارسة وانحلال القيم ، وقليلون أولئك الذين يتساءلون كيف دخلت علينا أنواع الرقص وجنون الغناء ولهيب الفاحشة ، ولم تدخل الصناعة التي تعين على حماية ديارنا

وأعراضنا وأموالنا ؟! كيف دخلت شعارات مساواة المرأة بالرجل ولم تدخل شعارات مساواة الرجل المسلم بالرجل الغربي في ميدان الإنسانيّة وشعارات الديمقراطيّة وحقوق الإنسان ؟! كيف جاء طوفان الإعلام يدعو إلى جميع أشكال هذه الفتن ولم يدع إلى حق المسلمين بأن يمتلكوا القوة العلميّة والصناعية والعسكرية ؟!

كيف رضي بعض المسلمين من خلال دعوة السلم والسلام أن نلقي أسلحتنا ويمضيَ الغربُ يُنمّي أسلحته الفتاكة المبيدة ؟

يُمَنّيهمْ عَدوُّ الله مَكْراً — بزُخْرُف فتنة وغُرور حَال (1)

ويَخْدعُهم بِدَعْوى السِّلم حيناً — وحيناً بالفَسَاد أو الضَّلال

فألْقَوْا عن كَواهلهمْ سلاحاً — وداروا في هَوى قيلٍ وقالِ

فَفُتِّحت الدِّيار لكلِّ غازٍ — وفتّحت القُلوبُ لكلِّ قالِ

وفاجَأهم سلاحٌ ذو مَضَاءٍ — يُقَتِّل باليمين وبالشِّمالِ

ولقد سعى أعداء الله إلى غزو العالم الإسلامي بكلِّ أنواع الأسلحة الفكرية والقتالية والأدبية. ولقد تميّز سلاحهم الأدبيّ المدمِّر بأنه لا يهاجم الدين الحق بصورة مباشرة تستفُزّ الشعور وتوقظ الغافلين في أغلب الأحيان. كلاّ ! إنه يهاجم بأسلوب غير مباشر ، ويَسْتَغلُّ شهوات الإنسان وأهواءه ونزعاته المتفلّتة ورغباته المفتونة .

(1) من قصيدة "كوسوفا" في ديوان : عبر وعبرات للمؤلف .

ومن هنا كان خطر الأدب الزائف الذي يحمل الفتنة كما تَحْمل الحلوى السمّ .

لذلك كان من أهم أسباب دراستي للحداثة والبنيوية والعلمانية والأسلوب والأسلوبية هو نزع غطاء الزخرف الكاذب وكشف الفتنة وسمِّها ، من خلال منهاج الله ، وبأسلوب الحجّة بالحجة ، لا بالمهاترات والصراخ والشعارات .

والقضيّة الثانية التي أُحبُّ أن أُثيرها ، هي أنَّ بعضنا يرَى الغرب العلماني في قمة الصواب ، وأَن ما يطرحه من نظريات فكرية وأدبيَّة هي ذروة ما يسمونه "الإبداع" ! وسَرَتْ هذه الشائعة، حتى توهَّم الكثيرون منا أَنَّنا لا نملك القدرة على طرح نظريات إيمانيّة نابعة من منهاج الله ، لنردّ على النظريات العلمانية . والحقيقة التي لا شك فيها أن منهاج الله كنز عظيم لا يفنى ، ويمكن أن نَصْدُرَ عنه بأغنى النظريات الفكريَّة والأدبية وغيرها ، وأغنى المصطلحات ، وأقوم المناهج ، وأصدق الوسائل ، لننهض إلى واجبنا بإنقاذ الإنسان ، إنسان اليوم ، من مخالب الضواري وأنياب الوحوش الكواسر ، المجرمين الظالمين المعتدين في الأرض ، أهل الفتنة والفساد :

المجرمون استكبروا في الأرض مَنْ سيَرُدُّ كيدَ المجرمين الجُحَّد (١)

فئة معطّرة الجهاد غنيّةٌ لله تنهج بالسبيل الأقْصَد

من كلّ أروعَ في الجهاد مجرّب ماض وكلّ مصدّق متجرِّد

(١) من ملحمة الإسلام في الهند للمؤلف

أَغْنى الحـيـاة بـصـدقـه وولائه ... لله لـم يشـرك ولـم يتـردّدِ

* * *

فـئـة كـأنّ المسكَ من أنفـاسـهـا ... مـلأ الزّمـان وعطّرَ الأفْق الندى

تمضي فـيـهـتـزُّ الربيع بهـا إذا ... طَلَعَتْ ويغْنَى كلُّ واد أجْـردَ

بشـرى رسـول الله آية ربّه ... للعـالمين ورحـمـة للمـجْـهَدِ

ولا تنحصر الأحداث بمجرياتها وفواجعها بالمجرمين وحدهم ، ولكن النائمين الغافلين ، التائهين المستضعفين ، مشاركون بذلك ، لأنهم لم ينهضوا إلى مسؤولياتهم ، ولا إلى الوفاء بالأمانة التي خُلِقوا لها .

إننا ندرس هذه الموضوعات ، ونقدمها للقارئ الكريم ، ليدرك مدى خطورة تسلل الأفكار العلمانيّة المناهضة للإسلام ، ومدى خطورة تقبُّلها من بعض المسلمين ، حتى إذا تجمّعت هذه وتلك ، أخذت هذه الأفكار كلها توهن من عزيمة الأمّة ومنَ ثقتها بربها ومن نهوضها للوفاء بأمانتها التي ستحاسَبُ عليها بين يدي الله .

عند دراسة أيّ أمر أو قضيّة ، يجب أن يكون هنالك ميزان نؤمن به ونزن الأمور والقضايا به . ميزان أمين معلَن عنه معروف لدى الناس ، حتى يعرف الناس منطلقك والأسس التي تبني عليها رأيك .

إنّ الميزان الذي نزن به الأمور ليحكم على هذه القضية أو تلك بأنها حق أو باطل هو ميزان المنهاج الربّاني . فهو وحده الميزان الحق الأمين .وهو

الذي يجب أن تردّ الأمور كلها إليه ، صغيرها وكبيرها . وهو الميزان الذي لجأنا إليه لندرس قضيَّة " الحداثة " كلها ومذاهبها و " البنيويّة " و " التفكيكيّة " ، وكذلك " الأسلوب والأسلوبية " ، وكذلك العلمانيّة ، وسائر القضايا التي تعرَّضنا لها بالدراسة والتحقيق والتدقيق .

إن أعداء الإسلام لم يتركوا أسلوباً لمحاربة الإسلام إلا لجؤوا إليه ، سواء أكان الأسلوب مباشراً أو غير مباشر . وهذا أسلوب غير مباشر حين يستخدمون الأدب ، ويُطلقون منه مذهباً بعد مذهب ، ليدعوَ كلُّ مذهب إلى صورة من صور التحلُّل من أسس وقيم ، وإلى التفلّت منها ، لتتفجّر الشهوات وتتدفّق ، ولتصبح خَدَراً يسيل مع الدمَ في العروق .

ولا نستطيع إلا أن نعترف بأنهم حققوا نجاحاً كبيراً في واقع العالم الإسلامي ، نجاحاً يكشف عن نهج عام وخُطّة شاملة ، يُخفونها أول الأمر ثمّ يكشفون منها شيئاً فشيئاً ، على قدر ما أصاب الخَدرمن النفوس والقلوب . وما كان سبب نجاحهم إلا قوّة الجهد الذي بذلوه للفتنة والفساد ، وغفوة المسلمين غفوة كبيرة .

ومهما يكن ، فيظل واجب المؤمن أن يتصدى للدفاع عن دينه وإسلامه ، لاجئاً إلى الله سبحانه وتعالى ، يستمد منه العون والقوة . إنه دين الله ، وإنّ الله ناصر دينه ، ولكنها فترات ابتلاء وتمحيص قد تطول وتمتدّ على حكمة لله بالغة وقدر غالب ، لتقوم الحجّة على كلّ إنسان يوم القيامة ، أو تقوم له .

ويجب أن نعلم ، كما بيَّنَّا في أكثر من كتاب ، أنه ما من مذهب أدبيّ إلا

وكان وراءه مذهب فلسفيّ يغذّيه ويدعمه . فكم من نزعة فساد انتشرت في الأرض عن طريق مذهب فاسد في الأدب .

تدعو " الحداثة " إلى عزل المؤلف عن كلمته وما ألفه ، وتجعل هذا العزل أو تسميه موت المؤلّف . وبذلك خالفوا المبدأ العظيم في الإسلام من أن كلّ إنسان مسؤول عن عمله وعن كلمته ، كما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم :

(.... وهل يكبّ النَّاس على وجوههم " أو مناخرهم " في جهنّم إلا حصائد ألسنتهم) [الترمذي : ٤١/٨/٢٦١٦]

وعن طريق الأدب المنحَلّ ومذاهبه نشروا الفاحشة بألوانها ، واستخدموا الألفاظ النظيفة في غير معناها ، فحين دعوا إلى " تحرير المرأة " دَعَوْا في الحقيقة إلى تقييدها بالشهوات الماجنة أو الأهواء المتفلتة ، وجَرّدوها من عفَّتها حتى تكون عبدة لا حرّيّة لها، وأطلقوا شهوات الشباب حتى سقط الكثيرون في حمأة الرذيلة ، حتى صاروا عبيداً لها .

إننا ندعو الله سبحانه وتعالى أن يلطف بنا ، ويمدّنا بعزيمة من لدنه وقوة وعون ، حتى نقف أمام هذه الهجمة الجنونيّة على العالم الإسلامي ، تحْت ادعاءات مَختَلفَة ومُخْتَلَقَة ، وأن يتقبّل منا عملنا عبادة له وطاعة ، وتوبة وإنابة ، إنه هو المولى ! نعم المولى ونعم النصير .

الرياض : **عدنان علي رضا محمد النحوي**

١/٨/١٤٢٣ هـ

٧/١٠/٢٠٠٢م

الباب الأول

واقع المسلمين والعلمانيّة

(١)
لماذا ندرس الأسلوب والأسلوبيّة
من حيث إنها مذهب غربيّ

لماذا ندرس الأسلوب والأُسلوبية من حيث إنها مذهب غربي ، ولماذا ندرس سائر المذاهب الأدبية والفكرية في الغرب ؟!

ندرس ذلك لنعرفَ أحدَ المنافذ التي يأتي الخطرُ منها على العالم الإسلامي ، ولنعرف ما نأخذ وما ندع ، لنحميَ أمّتَنا ودينَنا ونوفّرَ أسبابَ النهوضِ من الكبوةِ التي وقع فيها المسلمون اليوم .

العالم الإسلامي اليوم متأخّر من حيث القوةُ الماديةُ والصناعيةُ والعلميّةُ بالنسبة لما وصل إليه الغرب . والغربُ متخلف تخلّفاً مريعاً بالنسبة للتصوّر الإيماني الإنسانيِّ الربّاني . ويمكن أن يعيش الإنسان بغير صناعة متطورة ، ولكن لا يستطيع أن يعيش دون أخلاق ورسالة تحمل الأخلاق . ويكون الواقع أسوأ بكثير على الإنسان في الأرض ، حين يتوافر لدى أمة من الأُمم جبروتُ القوة المادية من صناعةٍ وسلاح ، وتتجرّدُ من قوةَ الأخلاق ورسالتها ، فتضطَرب المَوازين ، ويمتدُّ الظلم ، والعدوان والمجازر . فمن يوقف ذلك ، والسلاح يدفعه والموازين مضطربة والأخلاق ورسالتها مطويّة .

يجب أن نأخذ من غيرنا ما تحتاجه الأمّة المسلمة اليوم من صناعة

وعلوم تطبيقية في مسيرة نهضتها الإيمانيّة في مختلف ميادين الحياة . نريد ذلك لأننا نؤمن أن لنا نحن الأمةَ المسلمةَ رسالةً في الحياة " أمانةً حملناها ، وعبادةً خُلقْنا لها ، وخلافةً جُعلت لنا ، وعمارةً للأرض بحضارة الإيمان أُمرنْا بها . إنها رسالة وأمانة وإننا محاسبون عليها بين يدي الله يوم القيامة ، وإنها هي محورُ العهد مع الله ، العهد الذي أخذه الله من بني آدم ومن ذريَّاتهم كلِّهم في عالم الغيب ، ثم تأكَّد العهد مع كلِّ أُمة وكلِّ رسول . إنها مسؤوليّة عظيمة ، وشرف عظيم لمن يقوم بها ، وظلم وجهالة لمن يتخلّف عنها .

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّموَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً (٧٢)﴾ [**الأحزاب** : ٧٢]

وحتى ننجح بالأخذ عن غيرنا يجب أن نلتزم بأربعة شروط رئيسية :

أولاً : أن يكون لدينا ميزان أمين دقيق نحدّد به ما نأخذ وما ندع . وهذا الميزان الذي لا ميزان لنا سواه هو منهاج الله – قرآناً وسنّة ولغة عربيّة – ، ميزاناً يجب أن يملأ نورُه قلوبَ المسلمين إيماناً وعلماً ثمّ ممارسة .

ثانياً : أن لا نقف عند الأخذ فحسب ، فمسؤوليتنا تفرض علينا أن نعطي ونقدّم حين نأخذ . فإن كان لدى بعض الأمم قوة العلم الدنيوي والصناعة والسلاح ، فإن لدينا وحدنا العلمَ الحقَّ والنظرة الأمينة والتصور الكامل الشامل للكون ، والموت والحياة ، والإنسان ، وما سخَّره الله للإنسان .

ثالثاً : أن نعي الواقع الذي نعيشه لا من خلال الخوف والوهم والظنّ ، ولكن من خلال منهاج الله .

رابعاً : أن يدرس ذلك المختصّون المؤمنون الذين لا يُفْتَنون بإذن الله وهم يأخذون ما نحتاجه من غيرنا .

فإذا توافرت هذه الشروط الأربعة أصبح ما نأخذه من غيرنا يطابق قوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [النحل : ٦٦]

نعم ! نريد أن نأخذ لبناً خالصاً سائغاً للشاربين ، ولا نريد أن نأخذ الفرث والدم مما هو متوافر لدى غيرنا ، ومما هو غصّة وفتنة وضلال .

الخير الحق ملك للناس جميعاً ، لا يحلُّ لأحد أن يحجزه .ولا يحقّ لشعب أن يدّعي أنه صاحب حضارة خاصة به وحده ، إلاّ حضارة الإيمان التي بناها المسلمون المؤمنون الممتدون مع الرسل والأنبياء ، والذين ختموا بمحمد صلى الله عليه وسلم . فهم وحدهم الذين بنوا حضارة الإيمان ، حضارة التوحيد ، حضارة الخير الحق .

وحين اختصّت هذه الأمة المسلمة الممتدّة ببناء حضارة الإيمان والتوحيد ، فإنها كذلك ساهمت بالحضارة المادّية من علوم تطبيقيّة وصناعة ، لتسخّرها في طاعة الله ، ولتكون جزءاً لا ينفصل عن حضارة الإيمان والتوحيد ،

ولتكون هذه الحضارة الإيمانيّة حضارة ممتدة شاملة لجميع ميادين الحياة .

وأما المجرمون المفسدون في الأرض فقد اختصوا بأن يساهموا في الحضارة الماديّة ليعزلوها عن الإيمان والتوحيد ، حتى أصبحت حضارة مادية علمانية ، ساهم في بنائها تاريخ المجرمين كله .

وما بناه الإنسان من علوم وصناعة ، فإنما ذلك فضلٌ من الله ، هداهم الله به إليها ، فكفروا به وبفضل الله ، وعزوا ذلك لأنفسهم فتنة وضلالاً وابتلاءً من الله ، لتقوم الحجة عليهم يوم القيامة .

ولقد جعل الله الكون مفتوحاً لعباده كلهم ، للتقيّ والفاجر ، ليسيروا في آفاقه حيث تقوم آيات الله البيّنات ، يراها المؤمن فيزداد إيماناً ، ويراها الكافر فيأخذه الكبر والغرور ويحسب أنه هو صانعها ومبدعها .

الإنسان بحاجة اليوم إلى حضارة الإيمان والتوحيد ، لينطلق بها المؤمنون المتقون ، فيصلوا ما انقطع منها فترة من الزمن ، ويمضوا على صراط مستقيم يخرجون الناس من الظلمات إلى النور ، ومن الموت إلى الحياة .

ولفظة الحضارة كلمة جرت على ألسنة الناس ، دون أن يكون لها معنى محدّد في القول والوعي . فمن الناس من يحسب الحضارة عمائر وشوارع ، أو يحسبها مجرَّد علم وصناعة وسلاح ، أو أيّ نشاط مادي يوفّر للإنسان متعته ورفاهيته .

أمّا حضارة الإيمان والتوحيد ، فإنها تشمل ذلك كله ، تشمل كل نشاط ماديّ في الحياة يوجهه الإيمان والتوحيد ، حتى يرتبط النشاط بهما ، تترابط عناصر النشاط كلها لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، من الفتنة والكفر والجهل والظلام إلى الإيمان والعلم والنور ، من العلمانيّة والجاهليّة ، إلى الإيمان والحق ، إلى الإسلام .

(٢)
لمحة سريعة
عن الغزو العَلماني اللاديني
للعالم الإسلامي

إننا نلمس اليوم تسلل التصورات الوثنيّة والعلمانيّة إلى العالم الإسلامي في ميادين مختلفة من الحياة : الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وكذلك الأدبيّة ، إن هذا التسلل بدأ منذ عهد بعيد ، ولكنه اشتدّ اليوم وبرزت مظاهره وامتدت . ولقد سقط في حمأة الفكر العلماني كثيرون ، ولم يكن لهم بادئ الأمر صولةٌ وجولة ، ولكنهم اليوم امتدوا وانتشروا وعلت منابرهم .

بدأ الغزو أول الأمر بالجيوش والسلاح ، والاحتلال والعدوان ، والإرهاب والفتك وكان يستخدم الحركات التنصيرية التي يدّعي أنه لا يؤمن بدينها ممهِّدةً لجيوشه الزاحفة . وكان يستغل المستشرقين والضعفاء ، ويستغل الإعلام ، وأخذ يهدّم في حصون الأمة حصناً حصناً بشكل عدائي سافر . ومع المقاومة التي كان يلقاها في مختلف بقاع العالم الإسلامي لجأ إلى أُسلوب خفيّ غير مباشر يستغل فيه الأدب والكلمة ، والفكر والفلسفة ، في إطار مغرٍ من الزخرف والزينة ، تحت شعارات مغرية كذلك ولكنها مضلِّلة ، مثلَ الحرّية ، الإنسانيّة و العدالة ، المساواة ، حقوق المرأة ، حقوق الإنسان ، وسحق المرأة وإلقائها في وحول الجريمة المدبّرة ، وجريمة سحق

الشعوب كذلك . ولقد أثَّر زخرف الشعارات وأثر إعلامها الهادر حتى خدّر الكثيرين . وجاء الأدب الزائف يحمل الزخرف الزائف ليتابع نشر الفتنة والفساد بصورة هادئة غير مباشرة . وكانوا يهدفون من ترويج الأدب الزائف الواهي إلى عدة أمور في وقت واحد : أولاً إبعاد المسلم عن لغته العربيّة الأصلية وآدابها ، ونشر اللهجات العامية واللغات الأجنبية . ثم إبعاد المسلم عن كتاب الله وسنة نبيّه صلى الله عليه وسلم ، ثم إبعاده عن تراثه الصادق الصافي بمحاولة طمسه بالشبهات . ولقد أصابوا في ذلك نجاحاً ملحوظاً ، حتى إنك ترى أن اللهجات العامية طغت ، واللغات الأجنبية امتدت ، وكذلك آدابها وتصورها ، وهجر الملايين من المسلمين كتاب الله وعمّ الجهل باللغة العربية وبالكتاب والسنة القطاع الأعظم من المسلمين في الأرض .

وسهّل امتداد جريمة الآداب الغربيّة بأسلوب ناعم هادئ ما كان يثيره إعلامهم ومن سقط من المسلمين في ضلال دعوتهم من أنه لا علاقة بين الأدب والدين . وإنهم لكاذبون ، وإنهم ليعلمون أنهم كاذبون مفترون خادعون ، فصدَّق الفريةَ الكثيرون وبرزت التبعيّة الأدبيّة تحمل الضلال والسمّ الزعاف .

إنهم يعلمون أن كل مذهب أدبيّ ظهر عندهم كان وراءه فكر وفلسفة تدعمه وتغذّيه . فالكلاسيكية كان وراءها الوثنيةُ اليونانيّة والرومانيّة ، والرومانسية كان وراءها الفلسفةُ المثالية ، والمذهب الوجودي كان وراءه

الفلسفة الوجودية ، وكذلك الواقعية وسائر المذاهب الأدبية . وإنهم ليعلمون أن الإسلام فكر مشرق قادر على أن يدفع أدباً ينبع منه، إنهم يعلمون كل ذلك ، ولأنهم يعلمون ذلك فقد كانوا يخافون الإسلام والأَدب الذي يمكن أن ينبع منه نظريةً ونصّاً ، والذي يلتزم الإسلام التزام وعي وقدرة وصدق .

إنهم يخافون ذلك خوفاً شديداً ، لأنهم عرفوا من خبرتهم الطويلة في صراعهم مع الإسلام ، أن الإسلام هو الدين الوحيد في الأرض الذي لا يمكن مساومته على حقٍّ أو دفعه إلى باطل ، مادام أبناؤه مستمسكين به صادقين واعين عاملين باذلين ، إنهم يدركون أنه الدين الوحيد الذي يجمع أبناءه أمة واحدةً لا يَحلُّ لها التفرُّق والصراع :

﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾

[الزخرف : ٤٣]

﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾

[الأعراف : ١٧٠]

ولكن "فوكوياما" ، في كتابه "نهاية التاريخ والرجل الأخير" يُطمئن الغرب على ديمقراطيّته التي يرى أنها هي نهاية التاريخ البشريّ ، يطمئنهم بأنه مع أن الإسلام يملك من المقومات ما يؤهله لمصارعة الديمقراطية ، إلا أنه لا خوف من ذلك ، فالمسلمون ممزّقون لا أمل بلقائهم أبداً . ولكننا نقول له : الله أكبر ، وسيلتقي المؤمنون على قدر من الله غالب ، ووعد صادق . وعلى المؤمنين المتقين أن يهبّوا ليصدقوا الله ويوفوا بعهدهم مع الله .

(٣)
ظهور العَلمانيّة والعلمانيّة
Secularism And Scientism

العَلمانيّة الممتدّة اليوم في الأرض ثمرة تاريخ طويل ابتدأ منذ عهد بعيد. العَلمانيّة تعني النظر إلى العالم المادي وحده، وإغفال كل ما عداه من الغيب والألوهية والدار الآخرة وما يتبع ذلك، ويُتْرَكُ حسب ادِّعائهم الذي يكذّبه الواقع أمرُ الدين لكل إنسان، فهو حرٌّ بدينه، على أن لا يُعلن دينه في المجتمع ولا يدخله في التربية للأمة أو السياسة أو الاقتصاد أو غير ذلك. ولكن الدول العَلمانيّة التي تدّعي ذلك هي التي تغذّي الحركات التنصيرية في العالم الإسلامي.

وأعتقد أن محور التاريخ البشري كله هو صراع الإيمان مع الكفر أو الفسوق، أو الفجور والفساد والانحراف بشتى صوره وأشكاله. ولعلّ الصراع ابتدأ بين ولدي آدم عليه السلام، ويُمثّل أحدهما الخشية من الله، ويُمثّل الآخر فتنة الحسد وما يطويه من شرّ. وبرز الكفر صريحاً واضحاً في قوم نوح عليه السلام. فبعثه الله إليهم، ثم توالت الرسل والأنبياء في التاريخ البشريّ حتى خُتموا بمحمد صلى الله عليه وسلم:

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المؤمنون: ٤٤]

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ... ﴿٣٦﴾ ﴾

[النحل : ٣٦]

وبرزت الوثنية في أقوام متعددّين في فرعونية مصر ووثنيّة اليونان وغيرهما . وامتدت وثنية اليونان إلى الرومان لغة وفكراً وأدباً . ثم امتدت في أوربا . وجاءت النصرانيّة إلى أوربا وهي غير مؤهلة لمعالجة مشكلات أوروبا ، لأن كل رسول كان يُبعثُ إلى قومه خاصة ، وبُعثَ محمد ﷺ للعالمين . فدخلت النصرانية في صراع طويل مع الوثنيّة انتهى بانحراف واضح في النصرانية حين أُقرّت عقيدة نيسين Nicene Geed في مؤتمر نيقية سنة ٣٢٥م ، العقيدة التي تقول بطبيعة عيسى عليه السلام الثلاثية ، وتأكد هذا الانحراف في مؤتمر " المجمع العالمي Ecumenical Council " سنة ٣٨١م في القسطنطينية ، وامتدت مطاردة طائفة "الأريوسيين" الذين أنكروا الطبيعة الثلاثية لعيسى عليه السلام وأنكروا مشابهته لله في الجوهر ، فطاردوهم حتى أفنوهم ، وقامت الكنيسة الكاثوليكية على أساس ذلك لتمثل ديانة الإمبراطورية الرومانية ، حتى تبنّى هذا الاتجاه الإمبراطور ثيودوسيوس "٣٤٦م - ٣٨٥م ، ودخلت الكنيسة الكاثوليكية في صراع ممتد مع عدة جبهات : الأريوسيين كما ذكرنا ، العلماء، السلطة الزمنية بين انتصار وهزيمة ، حتى هزمت سنة ١٨٧٠م، واستولت الملكية على النفوذ في روما. واستمر ضياع النفوذ البابوي حتى سنة ١٩٢٩م حين أُقيمت دولة الفاتيكان ، بعد أن استقرت العلمانيّة في أوربا . وصراع آخر مع الإسلام

من الشرق ومن الغرب ، حتى حجبت أوروبا عن نفسها نور الإسلام في صراع طويل ، مما ساعد على نمو الاتجاه العلماني . وكان لليهود دور كبير في تغذية هذا الاتجاه منذ القرن السادس عشر باحتلالهم مراكز مؤثرة في السياسة والاقتصاد والإعلام ، وكان لهم أدوار واسعة في الثورة الفرنسية وفي حركة لوثر ، وفي إقامة مؤسسات كالماسونية وغيرها في ميادين مختلفة تنشر الفتنة والفساد تحت شعارات الإنسانية . ولا ننسى دور " **فريدريك إنجلز** " "**وكارل ماركس**" و " **لينين** " وغيرهم من اليهود من قادة الحركة الشيوعية .

كان من أثر صراع الكنيسة مع هذه الاتجاهات أن ارتد الكثيرون عن التصورّ الكنسي ، وظهر المفكرون الذين يقفون الموقف المعادي من الدين ، أو الموقف المتردد ، أو الموقف المؤيد لدين مختلط المفاهيم مضطرب التصورات : فولتير ، **جان جاك روسو ، منتسيكو ، دولباك ، دي لامتري ، أما نيويل كانت وآخرون .**

يقول " **كانت** " : " الإنسان ليس بحاجة إلى شيء من خارجه . التنوير هو تحرير الإنسان من الوصاية القائمة في داخله ... " . وهاجم " كانت " اللاهوت الطبيعي ونادى بالسببية المحضة والعملية ...! .

وانتشرت في أوروبا فلسفتان : المثالية ويمثلها هيجل وغيره ، والمادية ويمثلها ماركس وإنجلز ، أما بالنسبة للإسلام فكلتا الفلسفتين كفر صريح ، ولا فرق بينهما إلا إنّ المثالية تقول بأن الروح أسبق من المادة في الوجود ،

والمادية تقول إنّ المادة أسبق من الروح . والروح عندهما ليست الروح التي يتحدث عنها الإسلام ، وإنما هي الفكر والعقل البشريّ .

وكانت ثمرةُ ذلك كله تقديس أوثان مختلفة : قدّس فريدريك إنجلز الإنسان الذي سيسيطر على الطبيعة حسب زعمه ، وعبد آخرون العَلم المادي الدنيوي الذي اعتبره الحق وحده ، فكانت : العلمانيّة " Scientism " ، وآخرون عبدوا الحياة الدنيا دون الآخرة فكانت : العَلَمانيّة " Secularism " .

الخطأ الكبير في هذه التصورّات كلّها أنهم حاولوا فهمَ الكون كلِّه والموت والحياة من خلال العقل البشري والعلم الطبيعي ، ومن خلال عقلٍ محدودٍ وزمنٍ محدود وأرض محدودة ، بالنسبة لكون ممتد امتداداً يجعل عالمنا الذي نراه أو نبلغه حبة رمل في محيط ممتد من الرمال لا نرى نهاية له . ومن خلال ذلك حاولوا إخضاع كلِّ شيء للعلم البشريّ والعقل البشري ، بما في ذلك العلوم الإنسانيّة والأدب وغيرها . وهذه سقطة كبيرة حتى من الناحية العلميّة التي يدَّعونها .

(٤)

الطبقة المجرمة في الأرض واستغلالها للأدب والعلم

ومن خلال ذلك ظهرت الطبقة المجرمة في الأرض ، الطبقة التي تعبد مصالحها المادية ، الطبقة التي تصارع وتسالم على ضوء هذه المصالح وحدها . فأخذت تسخّر الفكر والسياسة والاقتصاد والأدب لتأمين مصالحها .

تقول مجلة الروح الفرنسية Espint في عددها يوليو/ أغسطس ١٩٧٧م : " ... هذا بالإضافة إلى أن المؤسسات الرأسمالية تتحكم في ألوان الثقافة والإعلام ، وأصبحت تحتكر الرأي العام وتُعبّئه لنصرة قضاياها ومصالحها " .

ويقول إدجارمورين : " إن السلطة القائمة على القهر قد استفادت من إنجازات العلم ، فأصبح العلم هو العامل المساعد للبربريّة والقهر . وإن بربريّة العلم إنما تتحالف مع كل الصور التقليدية أو الجديدة للبربرية . "

ولم يقتصر هذا الحال على العالم الغربي ، ففي الاتحاد السوفياتي ظلت رسالة الأدب تخضع لسلطان الدولة المطلق والنظرية المادية الجدلية والتاريخية . ولقد صدر قرار سنة ١٩٣٢م بإلغاء جميع الجمعيات الأدبية وإنشاء اتحاد الكتاب السوفييت . وحضر المؤتمر الأول لهذا الاتحاد سنة

١٩٣٤م سبعمائة كاتب وأديب، وفي سنة ١٩٥٤م لم يحضر إلا خمسون، كانوا ما يزالون أحياءً بعد حملة التطهير الستالينية. وانحصر الأدب بعد ذلك بموجب المؤتمر سنة ١٩٦٥م في الوطنية والأعمال البطولية. ويقول لينين: إذا كان الأدب يريد أن يخدم شيئاً فعليه أن يخدم حكومة الاتحاد السوفياتي."

استغلال العلم والفكر والأدب كان يتمّ بإحدى طريقتين: الاستبداد والقهر كما في الاتحاد السوفياتي وغيره، وبالتخدير والإلهاء كما في الغرب. فالديمقراطية في الغرب استغلّت الدين بالحركات التنصيرية وبإرضاء الشعور الديني، وألهت الناس وأشغلتهم بالفتنة الجنسية والخمور والمخدرات، ثم بالنظام الاقتصادي الرأسمالي الذي يصبُّ الثمار في جيوب الطبقة الرأسمالية، وبالنظام الإداري الذي يصبُّ الجهود في خدمة الطبقة نفسها، ثمّ يترك للجميع حريّة أن يقولوا ما يشاؤون، أما القرار النهائي فيخرج من وراء الكواليس والأدراج المغلقة عند الطبقة المتنفذة.

واستقرَّت العَلمانيّة في أوروبا بصورة قانونيّة وانطلق الفكر والأدب من هذه العلمانية سواء أكان ذلك في الغرب أو الاتحاد السوفياتي مع اختلاف الأسلوب وكذلك في أمريكا. وأخذت تظهر المذاهب الأدبية العلمانيّة مذهباً بعد مذهب، وكانت المآسي تجتاح أوروبا وتجتاح العالم. وشغل الأدب ورجال الأدب بقضايا أبعد ما تكون عن مصالح الإنسان. وإذا نظرت في مذاهب الحداثة التي طلعت مع القرنين التاسع عشر

والعشرين ، نظرت فيما تعالجه من قضايا لهالك هذا الغياب : الانطباعية والسيريالية والمستقبلية والتعبيرية التكعيبية والرمزية والبنيوية والتفكيكية وغيرها . يريدون إلغاء اللغة القائمة ليوجدوا لغة حرّة ، فانبثق من ذلك الشعر الحرّ الذي تلقفناه في تبعيّة عمياء . وجنّ بعض قادة هذه المذاهب وانتحر آخرون مثل ماياكوفسكي وغيره .

شُغلَ الأدب ورجاله بقضايا بعيدة عن مصالح الإنسان ، أو على الأصحّ ، أُشغلوا بذلك حتى يتسنَّى للطبقة المجرمة أن تفسد في الأرض وأن تُخدِّر الناس بكل وسائل التخدير وتصرفهم عن قضاياهم الحيوية ، وإذا لم ينصرفوا فعمليات الإبادة سهلة لديهم وأدواتها متوافرة ووسائلها جاهزة .

أُشْغل الناس بجميع ألوان العصبيات الجاهلية ، وتبنى ذلك ألوان من الأدب كثيرة ، وأصبحت هذه العصبيات الجاهلية تحمل نوعاً من التخدير تُمزَّق به الروابط الإيمانيّة تحت شعارات الإنسانيّة ، أو تُحوَّل الروابط الإيمانيّة إلى عصبيات جاهلية ، وأحقاد وصراع ، وعدوان وظلم .

" اللورد بايرون " الإنكليزي يتحمس لليونان في حربها مع الدولة العثمانية ، ويسافر ليشارِكَ في الحرب مع اليونان ضد المسلمين . تمتد المظالم في الأرض وتمتد الإبادة الجماعية ، وتمتد المجاعة ، والأدب في غياب غير قليل . قسيس من الجبل الأسود يضع ديواناً من الشعر يحرّض على إبادة المسلمين .

وجاءت المذاهب الأدبيّة والمذاهب الفلسفية المرتبطة بها لتزيد من

إشغال الناس ، ولتصرفهم عن قضاياهم الحقيقيّة . وسنرى كيف أن البنيوية والحداثة والتفكيكية والأسلوب والأسلوبية طرحت قضايا أشغلت بعض الناس حيناً ، وما تزال تحاول ذلك ، دون أن تُمسَّ قضايا الإنسان . أيهما أولى أن يدرس في الأدب : الموضوع ومدى حاجة الناس إليه ومدى تأثيره في النفوس وتوعية الإنسان ، ومدى توضيح حقائق الكون والحياة والموت ومابعده ، أم بمن يرتبط النصُّ ؟ أبالأديب الكاتب أم المتلقي ، أم ليس بهذا ولا ذاك ولكنه نصٌّ مغلق على نفسه ، ثمّ لا يعود هذا كله بالخير لا على الأدب نفسه ولا على الإنسان .

فإذا كان هذا هو الحال في معظم بقاع الأرض ، فقد كان الحال في معظم ديار الإسلام أسوأ وأشدّ ضرراً . فقد شُغل المسلمون بخلافات أدبيّة نقلها إليهم الغرب ليشغلهم وليخدِّرهم ، وديارهم تتساقط والأعراض تنتهك ، والأشلاء تتناثر ، والناس يزيدون فرقة وتمزُّقاً وصراعاً .

البـــاب الثـــاني

العَلمانية تطلق الأسلوب والأسلوبيّـة

(١)
لمحة خاطفة
عن الحداثة والبنيوية والتفكيكية

أ- لمحة خاطفة عن الحداثة :(١)

يمكن جمع عدد كبير من هذه المذاهب تحت مسمى الحداثة وما بعد الحداثة والبنيوية والتفكيكية ، وما يمكن أن يلي بعد ذلك في مسلسل لا يعلمه إلا الله .

ويستغلّ رجال الحداثة والبنيوية وغيرُهم أسماءَ أعلام في الشعر والأدب ويمجدون انحرافهم على أنه صورة من الحداثة ، أو يسيئون تأويل بعض الآيات والأحاديث ليحولوها إلى تصور حداثي ، أو يمتدحون آخرين ويقولون عن بعض ألفاظهم إنهم سبقوا بها إلى الحداثة . أدونيس يمجد الشعر الجاهلي وفسق أبي نواس وخمره ، ويقول إنه لم يعد يخاف من العقاب بل يفعل ما يوجب العقاب . ويعتبرون الخليل بن أحمد حداثياً وعبد القاهر الجرجاني حداثياً . وهناك آخرون .. وردت عندهم كلمة " التخييل " فيعتبرونها دلالة حداثيّة أو أسلوبية غربيّة . ويقولون عن بعض أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم إنه شعر ، ويمتدحونه على أساس ذلك ، ويعتبرون السحر الذي هو خروج عن الواقع وغياب في اللاوعي

---

(١) يُرجع إلى الكتب التالية لدراسة أوسع : " الحداثة في منظور إيماني " " تقويم نظريّة الحداثة " ، " الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته " للمؤلف .

من دلالات حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : "إن من البيان لسحراً" . وأمثلة أخرى حول ذلك .

فالحداثة كما يُعرِّفها أهلوها : "انقطاع معرفي . لا تكمن مصادرها المعرفية في كتب التراث أو اللغة المؤسساتية أو الفكر الديني ، أو أن الله مركز الوجود ... بل تكمن المصادر المعرفيَّة في اللغة البكر والفكر العلماني وكون الإنسان مركز الوجود ... " . فهي تنكر التراث والدين واللغة الأصلية .

ويقول آخر : " .. إنها لا تمثل انفصالاً عن الماضي ورفضاً لمقاييسه الثابتة فحسب ، بل هي ثورة دائمة أبديّة في تطلّعها المستمر إلى قيم جديدة وأشكال جديدة وأساليب تعبيرية جديدة يُلغي كلَّ قديم . (إلا تراث اليونان وأساطيرهم).. " .

وتقع الحداثة في تناقضات كثيرة مع نفسها . ومن أهم هذه التناقضات أنها حين تلغى الماضي كله ديناً وتراثاً ، تظل متمسكة بأسوأ ما في الماضي وهو الأساطير اليونانية الوثنية التي تمثل محوراً رئيساً في فكرها وقصصها وأدبها . ونكاد نلمس من هذه الاتجاهات كلها تكريسَ الهجوم على الدّين الإسلامي وتراثه ولغته العربية . فالشعر الحرّ كان محاولة واضحة للإساءة إلى اللغة العربيةَ وأسسَ بيانها وقواعدها .

ب - لمحة خاطفة عن البنيوية :

أما البنيوية فقد أخذت مذاهب شتى ، ودار حولها خلاف بين رجالها . فمنهم من يعتبرها فلسفة ومنهم من ينكر ذلك ، ومنهم من يجعلها علماً ومنهم من ينكر ذلك ، ومنهم من يقول إنها منهج ومنهم من ينكر ذلك .

أساس التصور البنيوي من كلمة " بنيَة " (والباء تأتي بالضمّ والكسر)، حيث اعتبرت البنية مستقلةً عما هوَ خارجها ، مكتفيةً بنفسها ، وهي مجموعة من العلاقاتَ الثابتة بين عناصر متغيّرة ، يمكن أن ينشأ على منوالها عدد لاحصر له من النماذج . ولكن الواقع خلاف ذلك . فالبنية أو البناء يشمل العناصر والعلاقات بينها ، ويمكن أن تثبت العناصر وتتغيّر العلاقات أو يثبت هذه وتلك أو يتغيّران . وفي جميع الحالات ، فإن الذين درسوا البِنية لم يتساءلوا من الذي بناها ، وعزلوها عن ذلك وعن كل ما عداها ، فهي في نظرهم مستغنية عن الإنسان وعن خالق الإنسان . وامتدت البنيوية إلى علوم كثيرة : علم المعرفة Epistemology وعلم الإنسان Anthropology ، وعلم اللغة البنيوي The Structural Linguistic ، وعلم النفس ، وعلم الاجتماع ، وغير ذلك ، وقامت أسس هذه العلوم على هذا التصوّر الوثنيّ الإلحادي .

أهم رجال البنيوية أربعة : "ليفي ستراوس" في علم الإنسان البنيوي ، "جاك لاكان" في علم النفس التربوي ، و "ميشيل فوكولا" في أركيولوجيا المعرفة أو المعرفة البنيوية ، "لوي ألتوسير" في علم النفس التحليلي .

عند ميشيل فوكوه نجد مصطلح "المنطوق" للدلالة على الحدث المفرد ومجموع الأحداث ويُكوِّن مصطلح "المقال". والمنطوق هو نمط وجود الرمز ووظيفته. ولكن جميع التعريفات للمنطوق لم توضح حقيقته ولم تسهّل الاستفادة منه في الواقع، والإنسان ممتدّ بالتولد.

لقد نادى فوكوه بموت الإنسان. ونادى نيتشه بموت الإله. ومات "فوكولا" ومات "نيتشه" والله حي لا يموت.

ويقول كمال أبو ديب: ليست البنيوية فلسفة، ولكنها طريقة في الرؤية ومنهج في معاينة الوجود. ولأنها كذلك فهي تنوير جذري للفكر، ولعلاقته بالعالم، وموقعه منه بإزائه، ولأنها كذلك تصبح البنيوية ثالث حركات ثلاث في تاريخ الفكر الحديث يستحيل بعدها أن نرى العالم ونعاينه كما كان الفكر السابق علينا يُعَاينُه". ثم يذكر ماركس وبيكاسو، ثم يقول: "...أصبح محالاً أن نعاين الَوجود - الإنسان والثقافة والطبيعة - كما كان يُعَايِنُه الذين سبقوا البنيوية".

ويقول "جان بياجيه" بكل إسفاف: "منذ قانون غودل توقّف الله نفسه عن جموده وأخذ يبني من دون انقطاع أنظمة تزداد قوة مما يجعله حياً أكثر"

و"كيرت غودل" اكتشف سنة ١٩٣١م اكتشافاً أحدث دوّياً بين هؤلاء البنيويين. فقد برهن حسب قولهم أن مطلق الوصول إلى نظرية متماسكة وغنيّة لا يمكن أن يوصلنا إلى إثبات عدم التناقض الخاص بها، فهي تصل بتمسكها بأدواتها إلى افتراضاَت غير ثابتة ولا مقرر لصحتها، وبالتالي لا

تصل إلى الإقناع . ولا شك أن هذا دويّ يثير الغموض كما أثارته نظريات سابقة ، وينسف كلّ ما لدى الإنسان من حقائق .

أما البنيوية عند " جان بياجيه " فهي مجموعة تحويلات تحتوي على قوانين كمجموعة تقابل خصائص العناصر وتُعْنى بلعبة التحويلات نفسها ، دون أن تتعدّى حدودها أو تستعين بعناصر خارجية . وقامت البنيوية عنده على ثلاثة مصطلحات :

الجملة : وهي البنية التي تتألف من عناصر تخضع لقوانين تميز المجموعة وتعطيها خصائص كمجموعة غير خصائص العناصر .

التحويلات : نشاط العناصر الذي يُحدث التبادل أو التداول . ومن هذا التصور ظهرت القواعد التحويلية على طريقة شومسكي كما سنرى .

الضبط الذاتي : البنية تضبط ذاتها وتدخل في نوع من الانغلاق ، بمعنى أنها لا تؤدي إلى خارج حدودها ، ولا تولِّد إلا عناصر تنتمي دائماً لها وتحافظ على قوانينها .

كان إذاً هنالك إصرار على عزل البنية عمّا عداها ، وإصرار نابع من صميم الفكر العلماني الذي عزل الحياة الدنيا كلها عن الدار الآخرة وعن الله رب كل شيء وخالق كل شيء.

والسؤال الذي يجب أن يثور هنا ماهي فائدة هذه البنية المنغلقة المعزولة، وما فائدة هذا التصور سواء للأديب أو النصّ أو المتلقي ، وما نتائجه في واقع الإنسان على الأرض ، بعد أن عُزل عن الدار الآخرة ، وعن

الإيمان والتوحيد ، وعن الله رب كل شيء ، والذي يدبّر الأمر كله من مثقال حبة من خردل أو ورقة شجر تسقط أو أي شيء في ظلمات الأرض إلى امتداد الكون كله .

وربما يسأل سائل ماذا يؤثر عزلُ الفكرِ أو النشاط عن الإيمان والتوحيد في مختلف ميادين الحياة . فالعلم علمٌ ، والسلاح سلاح ، والمال مال ، والنص الأدبي هو ذاته .

إنّ التأثير كبير وخطير . فالتصّور لهذه العلوم والآداب يتغيّر كله ، ولكنّ الفرق الكبير هو في ممارسة النشاط في واقع الإنسان . فالسلاح عندما ينعزل عن الإيمان والتوحيد يصبح أداة جريمة ووسيلة عدوان وظلم وفساد. وعندما يرتبط بالإيمان والتوحيد يصبح قوة للحق والعدل والصلاح . هذا هو السلاح في أيدي العلمانيين في هيروشيما وناجازاكي والبوسنة وكوسوفا ، وهذا السلاح في أيدي المؤمنين المتقين ينشر الخير . والاقتصاد حين ينعزل عن الإيمان والتوحيد يصبح ربا وأزمات اقتصادية، وبارتباطه بالإيمان والتوحيد يصبح استقراراً وزكاة .وقس على ذلك .

ج – لمحة خاطفة عن التفكيكية :

ثم أخذت تظهر مفاسد البنيوية . وتمثلت النقمة عليها في تمرّد الطلاب في فرنسا سنة ١٩٦٨م يثورون على البِنية والنسق والنظام ، وينادون فلتسقط البنيوية ، وأخذ رجال البنيوية يتبرؤون منها وينفضون أيديهم منها ، مثل لوي ألتوسير وميشيل فوكوه ورولان بارت وغيرهم .

وفي أمريكا ظهر " جاك ديريدا " ينقد أفكار " فرديناند دي سوسير" و " كلود ليفي ستراوس " . وانطلقت ثورة ضد البنيوية والبنيويين من جامعة

بيل في أمريكا . وجاء كتاب " العمى والبصيرة : للناقد البلجيكي " بول دي مان " ثمرة لهذه الثورة ودفعاً لها . وانطلقت النظرية التفكيكية على يد " مجموعة نقاد بيل " التي عرفت بأصحاب المذهب النقضي . فالتفكيكية جاءتْ ردّ فعل للبنيوية ، ولكنها غاصت في وحل الغموض كالبنيوية أو أشد .

والتفكيكية بايجاز ، كما يقول كريستوفر نوريس : أن تُفكِّكَ نصّاً يعني أن تكشف الطروحات المتناقضة فيه في المضمون والمعنى كشفاً يهدف إلى إثبات أن النص لا يقول ما يعني أبداً وأنه لا يعني ما يقول .

د- الفرق بين مسيرتين :

يقابل هذه المسيرة للعلمانية ومذاهبها مسيرة الفكر والأدب والدراسات اللغويّة عند المسلمين . فقد كانت مسيرة مشرقة بالوضوح والصدق، ويحكمها في معظم نواحيها منهاج الله والتصور الإيماني الذي ظل دائماً ضابطاً للمسيرة بشكل كبير ، مع وجود استثناءات تحدث في كل مسيرة .

وعند مقارنة المسيرتين نجد الفرق الواسع بين النظرتين للكون والإنسان والحياة والموت واللغة ، ونجد أنهما نهجان لا يلتقيان : نهج الإسلام الحق ونهج العلمانيّة المضطرب المتناقض . ولكن العلمانيّة أثرت في واقعنا اليوم واضطربت معان كثيرة ومفاهيم متعددة : مثل معنى الدين ، ومعنى المرجعية والأصالة ، والأسلوب وغير ذلك .

نهجان قد ميَّزَ الرحمن بينهما نهج الضلال ونهجُ الحقِ والرّشَد
لا يجمع الله نهج المؤمنين على نهج الفساد ولا صِدْقاً على فَنَدِ (١)

---

(١) ملحمة الجهاد الأفغاني : ط ٣ ص ١٣٣

(٢)

العلمانية
تطلق مذاهب : الأسلوب والأسلوبية
في الغرب

يقول " ريتشارد براد فورد Richard Bradford " في كتابه " الأسلوبية : Stylistics " : إن الأُسلوبيّة محيِّرة مراوغة ، كثيرة الغموض والمزالق ، سريعة الإفلات من اليد. (١)

ويحدِّث عن اللغة أو يعرّفها ليضيف تعريفاً جديداً للتعريفات الكثيرة التي تزاحمت حتى اليوم ، فيقول : " اللغة وسيلة تمكّننا من أن نبيّن بوضوح ترتيب اختياراتنا وقراراتنا واستجاباتنا ، وأعمالنا ونتائجها ، التي تبني حياتنا . ويمكن للأسلوب أن يدخل في بعض هذه المراحل ، إلا أن دوره يجب أن يكون واقعيّاً عملياً حتى يكون مفيداً (٢) .

يعود الفكر الغربي ومذاهب فلسفته وأدبه بجذورها إلى اليونان . ومن خلال التاريخ الأوروبي وصراعاته المتوالية، ظلّت الوثَنيّة اليونانية هي الأبعد أثراً والأقوى سلطاناً ، بالرغم من دخول عوامل أخرى ، كالنصرانيّة التي تأثّرت بالوثنية ، مما زاد في أثر اليونان وفكره بدلاً من أن يضعفه . ومازال هذا التأثير حتى اليوم ، حتى إن الحداثة التي تعتبر ترك القديم كله أساساً من أسسها ، تمسّكت بالأساطير اليونانيّة وخرافاتها ووثنيّتها لتكون محوراً بارزاً في أدبها .

---

(١) ، (٢) : الأسلوبية : Stylistic - " ريتشارد براد فورد : Richard Bradford " - المقدمة .

كانت الدراسات الأدبيّة عند اليونان تدور حول استخدام اللغة للإقناع . ولذلك ظهر عندهم ما أسموه " فنّ الكلام " Techne Rhetoric " ومنه جاءت الكلمة التي درج استعمالها عندهم وفي أوربا وهي : " Rhetoric " . وكانت كلمة الأسلوب عندهم تعني سبيل الإقناع . ومهما تغيّرت مراميها عند اليونانيين والأوربيين وغيرهم ، فقد ظلّت كلمة "أسلوب" كلمة شائعة لدى العامة والخاصة منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا . وكذلك الألفاظ المرادفة لها في اللغات الأخرى مثل " Style " . ففي العربية لكلمة "أسلوب" معان متعدّدةٌ ذاتُ إيحاء واحد : السطر من النخيل ، الطريق الممتد ، المذهب ، الاتجاه ، وغير ذلك ،وإيحاؤها كلها الطريق والطريقة والاتجاه . وفي اللغة الإنجليزية جاءت كلمة "Style " من أصل لاتيني Stilus ، التي تعني الأداة التي كان يكتب بها القدماء على الشمع ، مع معان أخرى متقاربة ، ثم أصبحت تعني الطريق أو الطريقة التي يُعبَّر بها عن الفكر ، أو العمل ، أو تعني الزيّ واللباس والأناقة .

كانت هذه الكلمة بألفاظها المختلفة في اللغات المختلفة شائعة متداولة مفهومة لدى جميع الشعوب والأمم ، ولم تكن تحمل مشكلة في الفهم أو الاستعمال . وكانت تعني بالنسبة للأدب والكتابة والخطابة الطريقة التي يُعبّر بها عن الفكر أو العاطفة أو كليهما معاً أو العمل والسلوك . ومازال هذا المعنى والتصور هو المعتمد اليوم في جميع اللغات .

إذاً لماذا قامت المذاهب الأدبية والفكرية المتعددة في خلاف وتناقض

حول الأسلوب ؟! وكذلك حول الأسلوبية ؟ والأسلوبيّة مصطلح جديد يعني دراسة الأسلوب وتحليله ، فحيثما وُجد الأسلوب وُجدَت الأسلوبيّة !

إذا كان معنى الأسلوب والأسلوبية هو كما ذكرناه أعلاه دون خلاف بين الناس عليه ، فإن الخلافات والمذاهبَ نشأت بعد تدخل البنيوية والمذاهب اللغوية والفكرية والفلسفَية والأدبية ، لتطرح قضايا جديدة في تصور الأُسلوب وَالأسلوبيَة .وأهم هذَه القضايا نوجزها بما يلي :

١- كيف نُعرِّف الأسلوب في اللغة واستخدامه وكيف نحدّده ونحدّد وظائفه ؟! .

٢- أين نجد الأسلوب ، ومع من يرتبط ، هل يرتبط مع الأديب وحده ، أم مع النصّ وحده ، أم مع المتلقّي ؟! وماهي اللغة ؟! وما علاقة اللغة بالنصّ؟! .

٣- كيف يتولّد الأُسلوب وما هي العوامل المؤثرة فيه ؟! .

٤- هل الأسلوب يجعل النصّ أدباً ، أَم أن الأسلوب لا علاقة له بالأدب ؟! . ولا بالنقد ؟ أم علاقته باللسانيّات ؟! .

٥- ماهي العلاقة بين طريقة استخدام اللغة وبين سياقها وأهدافها ؟

٦- كيف تقدّم اللغة صوراً مطابقة للواقع أو مشوّهة له ؟! .

ثّم أخذت تتوالد الأسئلة والقضايا بصورة متجدّدة ، بعد أن تفلّت التفكير في فضاء واسع غير محدود ، دون ضوابط تضبط الفكر أو الممارسة

والتطبيق ، وبعد أن انعزل الفكر والأدب ، والسلوك والتصور والممارسة عن الإيمان والتوحيد ، وعن الدين كله ، وعن التراث إلا تراث الأسطورة الوثنيّة وخرافاتها التي ظلّت محوراً رئيساً في أدب الحداثة والبنيوية ، والتي نبعتْ من اليونان ثم الرومان ، ثم امتدت في أوروبا ومذاهبها .

لقد أطلقت البنيوية الدراسات اللسانيّة عند " فرديناند دي سوسير Ferdinand de Saussure " (١٨٥٧م - ١٩١٣م) ، فوضع قواعد علم اللغة الحديث ، حتى اعتبر بعضهم أن البنيوية انطلقت مع نشر محاضرات سوسير بعد وفاته سنة ١٩١٦م . وكان شارل بالي تلميذاً لسوسير ، استهوته الدراسات اللسانية البنيوية ، وعكف على دراسة " الأسلوب " للإجابة على الأسئلة التي سبق ذكرها أو على بعضها ، فأرسى بذلك ما يسمّونه علم الأسلوب والأسلوبية لأول مرّة ، ورأى أن الأسلوب نجده في اللغة العامَّة وليس في اللغة الأدبيّة التي يأتي النصّ بها بصورة إراديّة واعية . والتفّ حول بالي عدد من الأدباء يؤيدون رأيه ، ثم ما لبثوا أن انقلبوا إلى مذاهب شتى .

وجاءت الفلسفات المتناقضة في أوروبا لتضغط على التصورات القائمة للغّة ودورها، والتقت الدراسات اللسانيّة مع الفلسفات القائمة ومع العلوم . فعُقدتْ عدة حلقات في وقت واحد تقريباً تدور كلها حول اللغة والأسلوبِ والأسلوبية واللسانيات ، وتحاول الإجابة على الأسئلة التي عرضناها أو على بعضها . حلقة في فيينا وحلقة في براغ وحلقة في

جامعة إنديانا في أمريكا . ففي حلقة "فيينا" سنة ١٩٢٩م دعا الفيلسوف النمساويّ "شليك : Schlik " (١٨٨٢م - ١٩٣٦م إلى فلسفة علميّة حسب زعمه تنقذ الفلسفة من الغموض . ثم جاء تلميذه " رودلف كارناب " ليقول إن مهمة الفلسفة هى التحليل المنطقي للّغة ذات المعنى والدلالة ، والتقت الفلسفة واللسانيات لتتبادلا الغموض والإبهام بدلاً من أن تزيلاه . وفي حلقة براغ دعا جاكوبسون وتروبتسكوي وغيرهما إلى البنية في اللغة والتصوير البنيوي . وفي ندوة " إنديانا " سنة ١٩٦٠م قدّم جاكبسون محاضرته حول اللسانيات والإنشائية ، وحاول ربط اللسانية بالأدب ، وأقام نظرية الإيصال .

ولكن الأسلوب (Style) مازال يعني " الطريقة " التي يتمّ بها التعبير . فلما تضاربت التصورّات للّغة كان لابد أن تتضارب التصورات عن مكان الأسلوب ووظيفته وعلاقاته ، وسائر القضايا المطروحة .

" سوسير " يرى اللغة نظاماً معيّناً من الإشارات تُستَخْدم في نقل رسالات إنسانيّة . وفرّق " سوسير " بين اللغة في حالة السكون وعدم الاستخدام وبين اللغة في حالة الاستخدام وهي الكلام . وقسم الكلام كذلك إلى قسمين . الكلام العادي ، والكلام الأدبيّ .

أما " شومسكي " فيري أن اللغة مجموعة من القواعد المتناهية ، وأما الكلام فهو مجموعة من جُمَل غير متناهية ، وتأثَّر بتقسيم "سوسير" للغة إلى لغة ساكنة وإلى كلام وخطاب .

ويرى آخرون أن اللغة نظام يوفّر التنسيق بين الصور السمعية والمفاهيم. ويرى "ديكرو" و "تودوروف" على ضوء ذلك أن اللغة سلبيّة وغيرُ فاعلة ، وأن امتلاكها يتم باستخدام الإمكانات الذهنيَّة والذاكرة . ويرى آخرون أن الدراسةَ اللغويةَ هي دراسةٌ لنسق العلاقة بين الذهن والكلام ، ويرى آخرون أن اللغة أداة من أدوات الإيصال ولكنها أرقاها ، وبها يتميَّز الإنسان عن الحيوان . وجعل كل فريق للغة وظيفة معيّنة حسب فهمه لها .

إن الاختلاف حول مفهوم اللغة ودورها أدَّى بطبيعة الحال إلى خلاف واسع حول "النصّ" ووظيفته وعلاقاته . رأى بعضهم أنَّ اللغَة هي التي تخلُق النصَّ ، لأنها تخلق شيئاً بعد أن لم يكن له وجود . وأصبح النصّ نفسه يخلق الشيء الذي لم يكن له وجود خارجَ النصّ . ويضرب بعضهم مثلاً على ذلك بشجرة الزقّوم التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم :

﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الدخان : ٣٠ – ٤٦]

فقالوا إنَّ شجرة الزقوم لا وجود لها خارج النصّ ، وإن النَصّ خلقها. وأنكروا بذلَك نصاً ثابتاً في كتاب الله ، وتجاهلوا أنها في النار ، في جهنم ، طعام المجرمين الآثمين الذين ينكرون الحق ويكفرون به .

ونحن نرى أنَّ النصّ الذي يخلق شيئاً لا وجود له خارج النص هو

نصّ الأساطير والخرافات ، والكذب والافتراء ، والخيال التائه ، خيال السكارى وأوهام الضائعين الضالّين .

ويرى " تودوروف " البلغاري (ولد سنة ١٩٣١م) أن النصّ يُعَرفُ باستقلاله وانغلاقه . ويرى " رولان بارت " الفرنسي (ولد سنة ١٩١٥م) أن النصّ يشاطر الأثر الأدبي هالته ، وهو مرتبط بالكتابة ، فهو يُوجد الضمان للشيء المكتوب . وشبَّه " رولان بارت " النصّ بفصٍّ البصَل حيث لا نواة ولا لب ولا قلب ، ولكن أغشية متتالية ، فَنَزْعُ غشاء يكشف عن غشاء مماثل فلا بداية ولا نهاية . وقد ذهب رولان بارت بعيداً في هذا التشبيه ، فالبصلة لها بداية ولها نهاية ولها لب . ثم يقول " ... هذا هو النصّ الأدبي فوجوده ذاتي وليس لشيء مخبوء فيه ... " . ما معنى هذا الكلام ؟! هل رولان بارت يعي حقّاً ما يقول ؟! .

ثمّ جاء خلاف آخر حول أيهما أسبق أو أفضل : الكلام المنطوق أم المكتوب . فأسس " بول ريكور " نظريتَه للحدث الكتابي ، نظريتَّه التي تميّزه عن الحدث الكلامي . وعرّف " النصّ " بأنه كلُّ خطاب ثبَّتَتْه الكتابة . ثم يتساءل " ريكور " عن العلاقة بين النصّ والكلام . وتتوالى المغالطات من خلال هذه الخلافات ، فترى " ريكور " يقول : " النصّ كائن مفلت ينجو من قارئه عند الكتابة ومن كاتبه عند القراءة ، فالقارئ غائب عن الكتابة ، والكاتب غائب عن القراءة. "

ويغيب عن بال " ريكور " أن النصّ يظل مرتبطاً بصاحبه ، مرتبطاً

بقارئه ، ويظل التواصل بين القارئ والكاتب من خلال النشاط الاجتماعي الذي ينقل النصَّ إلى القارىء ، ويقيم الصلة بينهما . ثمّ يقول : " إن قراءة كتاب ما تعني أن كاتبه قد مات مسبقاً " . وهذه مغالطة وجناية ، حتى ولو قيل لتسويغه إنه تعبير مجازي .

ونرى هنا مدى خطورة التفلّت الذي وقع فيه هؤلاء ، ومدى ضياع المسؤوليَّة عن الكلمة والنيّة والعمل . فالكاتب مسؤول في الدنيا والآخرة ، ومحاسَب على كل لفظة يقولها كما تنصّ الآيات والأحاديث .

ومن خلال الاختلاف حول مفهوم اللغة ودورها ، وما أنتج ذلك من خلاف حول النصّ ودوره ومكانه ، تفجّرت خلافات كثيرة في موضوعات تمس اللغة والنصّ والمرجعية والأصالة وغير ذلك . إلا أن أهم اختلاف تفجّر عن ذلك كله هو الخلاف في البحث عن الأُسلوب ، وفي الإجابة عن الأسئلة التي سبق ذكرها فأين هو الأسلوب ، وبمن يرتبط ، وما هي وظيفته وعلاقاته ، وغير ذلك .

ومن هنا من قلب هذه الخلافات التائهة المتفلتة من كثير من الضوابط خرج موضوع " الأسلوب والأسلوبية " لا ليُغيِّر المعنى العام الشائع ، وهو الطريقة في التعبير أو التفكير أو العمل ، ولكن ليجيب على الأسئلة المتفجّرة كأنما لا نهاية لها ، ولتطمس من خلال ذلك المعنى البديهي المقرر بين الناس جميعاً .

فالأسلوب والأسلوبية يدوران حول قضايا جديدة طرحها الخلاف

المتواصل الذي يجري في متاهة واسعة فتحتها البنيوية . وكلما أراد أحد الناس أن يُمسك بطرف مما يعتقد أنه حقيقة ، وجد نفسه يركض ويلهث وراء خيال شارد ، أو وهم مظلم ، أو سراب أسرع منه في السعي والركض.

ومن بين الأسباب التي ولَّدت الخلافات والمتاهات ، أن كلّ فريق أخذ جزئيّة من القضية المطروحة ، وأخذ يحاول تعميمها ليجعل من الوهم والظن حقيقة شاملة ، ومن المصطلحات والتعبيرات العامة العائمة ضياعاً آخر ، فكان الأسلوبُ والأسلوبيةُ مذاهبَ متضاربةً متناقضةً ، وخلافات واسعةً ممتدة .

ومن السهل علينا أن نرى أن النظرة الأوسع والأشمل للغة هي من خلال الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ، وأنها آية من آيات الله ، توفّر للإنسان الاتصال والتفاهم والتفكير ، وتعين على فهم رسالة الله ، وعلى الوفاء بالأمانة والعهد مع الله .

إن رجال الأسلوب والأسلوبية لم يدرسوا اللغة العربيّة ولا دين الإسلام ، حتى تكون دراساتهم أقرب ما تكون لما يسمّونه البحث العلميّ . لقد درسوا مذاهب كثيرةً ولغات كثيرةً ، ولكنهم فقدوا الكثير بعدم دراسة اللغة العربية والإسلام ، فقدوا أمانة ما يسمونه بالبحث العلميّ ونهجه . فاللغة العربيّة متميّزة من لغات العالم ، والإسلام هو الدين الحق ، دين الرسل والأنبياء كلهم ، وما يسمى اليوم بالديانات هي ديانات محرَّفة عن أصولها الإسلامية ، أو وثنيّة بالغت بالانحراف .

" سوسير " سويسريٌّ درس بعض اللغات السنسيكريتية ، واللغات الهنديّة والأوروبية ، والنحو المقارن . فلم ينل الإسلام مكاناً في دراسته ولا اللغة العربيّة .

ولقد درّس في جنيف اللسانيات التي بنيت أساساً على ما عكف هو أو غيره على دراسته . جاء بعد " سوسير " لسانيون ألمان وفرنسيون ، مضوا في نفس الاتجاه البنيوي العلماني ، فأداروا ظهورهم للإسلام الحق ولغته المتميّزة .

الباب الثالث

أهم ملامح الأسلوب والأسلوبيّة

(١)

أهمُّ اتجاهات الأسلوب والأسلوبية واختلاف التعريف والمذاهب والمدارس

أ - الخلافات في تعريف الأسلوب والأسلوبيّة :

نورد هنا أمثلة سريعة موجزة تهدف إلى بيان الفروق الواسعة بين المذاهب المختلفة وتصوراتها ، ومناهجها ومنطلقها .

" فريدريك دوفلر " و " بروست " : يرى كلٌّ منهما أنّ كل فنّان يترك بصماته الخاصة فيما يكتب . ويقوم هذا الاتجاه بربط الأسلوب بالأديب المنتج ويكون بذلك قد اقترب من المفهوم العادي للأسلوب .

أما " بيفون " فإنه يقول : الأسلوب هو الرجل . وأما " فلوبير " فيقول: الأسلوب وحده طريقة مطلقة لرؤية الأشياء .

وآخر يقول : الأسلوب خطاب لا يعترف إلا بنظامه الخاص . الأسلوب يَخلق نظامه بعد أن لم يكن ، ويتحلّى به .

ويقول " ستاروبنسكي " : الأسلوب اعتدال وتوازن بين ذاتيّة التجربة ومقتضيات التواصل .

ويقول " ماروزو " : الأسلوب اختيار وانتقاء .

ويقول آخر : الأسلوب جزءٌ من القراءة . وآخر يقول : الأُسلوب جزء من المكتوب . وآخر يقول : الأسلوب مجال التصرّف .

وآخر يقول : الأسلوب مفارقة وانحراف عن نموذج معياري ، أو خرق للعادة .

وآخر يقول : الأسلوب يتجدّد بما يولّده النصّ على القارئ أو المتلقّي .

ومنهم من يرى أنَّ الأسلوب يُحدَّد ويُعرّف بالإضافة .

ومنهم من يرى أنَّ الأسلوب تضمين .

نرى شدّة الافتراق بين هذه التصورّات المختلفة ، المتعارضة المتناقضة . ومنها ما هو مناقض لنفسه ولأبسط قواعد المنطق . فكيف يكون الأسلوب من النصّ ثم لا يتجدّد إلا بما يولده النصّ على القارئ . فالنصّ والأسلوب سابق الولادة ، القارئ لاحِقٌ ! فكيف اللاحق يحدّد السابق ؟!

والأسلوبيّة كذلك نالت من كثرة التعريفات وتناقضها كما نال الأسلوب :

فمنهم من يقول : الأسلوبيّة رؤية وفكر ! وقائل يقول : الأسلوبيّة امتداد للبلاغة ونفْيٌ لها . ومنهم من يقول إن الأسلوبيّة مرتبطة بالنقد ، وآخرون يقولون إنها بعيدة عن النقد .

ومنهم من يرى أن الأسلوبيّة تُعنى بدراسة النصوص الأدبيّة وغيرها ، وأنّ دورها ليس مقتصراً على الأدب ، فكما أننا نجد الأسلوب في الأدب وغَيره ، فالأسلوبيّة نجدها كذلك في الأدب وغيره .

وربما وجدت من يخرج الأسلوبيّة كلها من دنيا الأدب ليجعل منها عالماً خاصاً بها . فمن هذا التصوّر انطلقت الأسلوبيّة الحديثة على يد " شارل بالي " .

أردنا من هذا العرض الموجز أن نقدم صورة سريعةً وملمحاً من ملامح الأسلوب والأسلوبية ، عسى أن يساعد هذا على فهم أقرب لها .

ب- أهم اتجاهات الأسلوب والأسلوبيّة وموجز ذلك :

يمكن أن نذكر خمسة اتجاهات مضت فيها " الأسلوب والأسلوبيّة " ، ومنها نشأت مدارسها ومذاهبها :

ب- ١ : الأسلوب اختيار وانتقاء ، ذلك عند الذين يرون أن اللغة عبارة عن قائمة هائلة من الإمكانات المتاحة . والانتقاء منها يكون على أحد شكلين : إما " نفعي :Pragmatic " ، وإما نحويٌّ خاضع لقواعد اللغة .

ب-٢ : وذهب اتجاه آخر نحو القارئ تاركاً الكاتب والنصّ خلف ظهره ، ليدرس ما يولّده النصّ على القارئ أو المتلقّي . فالأسلوب عند " ريفاتير " قوة ضاغطة على حساسيّة القارئ فإن غفل القارئ عن النصّ تشوّه النصّ ! والسؤال : ما ذنب النص إذا نام القارئ ولماذا يتشوّه ؟ !

ب-٣ : وتنحى الأسلوبية والأسلوب عند آخرين منحى آخر ، يرون في الأسلوب مفارقة أو انحرافاً أو انزياحاً عن نموذج آخر معياري ، أو أنه خرق للعادة . ومعنى الانحراف والمفارقة والخرق هنا غير دقيق أو غير سليم . والمقارنة مع النموذج المعياري إما أن تكون صريحة بوجود النموذج أو ضمنية إذا لم يوجد النموذج .

ب-٤ : واتجاه آخر يرى أن الأسلوب يتحدّد بالإضافة . وهذا التصوّر يفترض وجود تعبير محايد لا أسلوب له . فيقوم الباحث بتجريد النصّ من أيّ خصائص أسلوبيّة من أجل الوصول إلى الجوهر، والحقيقة أنني لا أدري كيف يتمّ التجريد وكيف يتمُّ العثور على الجوهر ، وكيف يتحدّد الأسلوب بعد ذلك .

ب-٥ : واتجاه آخر يرى أن كل سمة لغوية تتضمّن أسلوباً . فهذا الاتجاه يعتبر أن الأسلوب "تضمين : Connotation " .

من هذه التعريفات التي مضت والاتجاهات التي أوجزناها ، لا بدّ من وقفة لنتأمل ونتفكّر ونتساءَل . إننا نشعر أن هناك تعبيرات تُلقَى جُزافاً دون أيِّ اعتبار لحق الإنسان أن يفهم ، إنها تلقى تحت ضغط شعار العلم والمعرفة ، وضغط الحضارة الغربية المادية وإعلامها الهادر . فما معنى أن النصّ مكتف بذاته ، أو بنفسه ، أو منغلق على ذاته ، أو أنه مستغنٍ عن كل شيء خارجه .

لقد كان من أول انحرافات العلمانيّة أن اعتبرت أن الإنسان مكتفٍ بذاته كما ذكرنا قبل صفحات قول " كانْت " . لقد عزلت العلمانية الإنسانَ عن ربه وخالقه . وفي الحقيقة فقد عزلته عن نفسه حين عزلته عن الإيمان والتوحيد المغروس في فطرته . ثمّ جاءوا للنصّ فعزلوه عن كاتبه . ونسوا أن الكاتب مسؤول عن كلمته ومحاسب عليها .

لقد أصبح الإنسان هو الذي يخلق ، يخلق النصّ عند بعضهم ، وعند

بعضهم الآخر أصبح النصّ هو يخلق الأسلوب . ثم نغيب في هذه التصورات التي لا تكاد تمسك منها بطرف حتى يُفلِتَ الطرف الآخر .

يمكن أن نبرز أهم محاولات الأسلوب ودراساته في صور ثلاث رئيسة، يمكن أن يتفرّع من كل واحدة مذاهب متعددة :

١- دراسة العلاقة بين النصّ وصاحبه .

٢- دراسة العلاقة بين النصّ والمتلقّي .

٣- دراسة النصّ نفسه معزولاً عن صاحبه وعن المتلقي .

وهنا تبرز ثلاثة اتجاهات رئيسة نبرزها كما يلي :

ج : الأسلوب والأسلوبية من حيث المرسِل والمرسَل إليه والنصّ :

ج - ١ : الأسلوب من حيث المرسل أو الكاتب والمخاطب : هذا التصورّ يربط النصًّ بصاحبه . وهذه نقطةَ هامة إيجابيّة في هذا الأسلوب . والأسلوب يكشف هنا عن طبيعة صاحبه وفكره ونفسيته وغير ذلك . والذاتية يراها بعضهم هي أساس بناء الأسلوب . والأسلوب هنا هو العبارات اللفظية المنسِّقة للمعاني . ويكون لكلِ كاتب أسلوبه أو أساليبه . والأسلوبية تدرس هنا في التحليل الأسلوبي مُعتَقد الكاتب ونظرته إلى القضايا ، وانفعالاته . وهذا التصور هو الأسبق والأوسع انتشاراً . ونرى هذا التصور عند بيفون وبروست ومونان . وتأتي نظرية ستاروبنسكي لتحدد ما هو الأسلوب بكونه اعتدالاً وتوازناً بين ذاتية التجربة ومقتضيات التواصل .

ج - ٢ : الأسلوب من زاوية النص : ينطلق هذا المذهب من مفهوم اللغة عند سوسير . فسوسير قسم اللغة إلى قسمين : اللغة في حالة السكون قبل الاستخدام ، واللغة في حالة الاستخدام ، وفي حالة الاستخدام تنقسم اللغة إلى قسمين : الخطاب العادي أو النفعي ، والخطاب الأدبي الذي يحمل الأسلوب . والأسلوبية تدرس هنا العلاقة بين الوحدات المختلفة للنصّ النحوية والصرفية والمعجمية التي تشكل البنية العامة للنصّ . فالأسلوبية تنصب على النصّ نفسه . معزولاً كل العزل عن كاتبه ، وغايتها الأساسية وصفيّة وتأخذ اتجاهين : البنيوي ، والشكلي الذي يسمّى أصحابه الشّكليين ، والأسلوبية البنيوية قد تتعرّض إلى بعض القضايا الاجتماعية أو الفلسفية أو النفسية مما قد يُستشَفّ من خلال النص الأدبي ، أما الأسلوبيّة الشكلية فإنها تنحصر في النصّ لغةً وتعتبر الشكلَ والمضمونَ متلاحمين . والأسلوب من زاوية النصّ يرتبط بالخطاب الأدبي المغاير للخطاب العادي . ذلك لأن الخطاب الأدبي قد يكسر القواعد اللغوية أو يستبدل تعبيرات جديدة بأخرى قديمة . وتدور آراء مختلفة حول الانحراف والانزياح !

ج - ٣ : الأسلوب من زاوية المتلقى : التصور ناشئ من افتراض أن الكاتب يعبّر عن نفسه ولكن لا يكتب لها ، وإنما يكتب للقارئ ، لالغيره . وأصحاب هذا التصور يرون أن المتلقي هو الحكم الفصل في قبول النص أو رفضه ، وأنه لا يوجد إفهام دون المتلقّي . ويعتبرون أن الأسلوب يمثل ضغطاً على المتلقي يحرّك نوازعه . فالكاتب يضيف إلى الفكر واللغة

والصياغة ما يحقق التأثير على المتلقي .وجوهر الأسلوب كامن في هذه الإضافة ، وأصحاب هذا الرأي : فلوبير ، بول فاليري ، وأندريه جيد ، وبيير جيرو ، وريفاتار الذي يقول : ... إذا غفل القارئ أو المتلقي عن النصّ شوّه النص .

د- أهم مدارس الأسلوب والأسلوبيّة وأهم رجالها :

يقسم بعضهم الأسلوب والأسلوبيّة بطرق متعددة ، منها ما عرضناه قبل قليل ، ومنها مدارس تتمثّل في أهم رجال هذه القضيّة الذين زادوا القضيّة حيرة ومزالقَ وغموضاً ، بدلاً من أن يرفعوا الغموض أو يخفّفوه .

وندرس في هذا الموجز لمحة عن كلٍّ من المدارس التالية :-

١- مدرسة شارل بالي charles Bolly : (١٨٦٥م - ١٩٤٧م) وأسلوبيّته .

٢- مدرسة الأسلوبيّة الفرديّة أو المثالية ، أو مدرسة " ليوسبيتزر (Leo spitzer) (١٨٨٧م - ١٩٦٠م)

٣- مدرسة : " رومان جاكبسون Roman Jakbson " ولد سنة ١٨٩٦م وأسلوبيته .

٤- مدرسة " ناعوم شومسكي : Noam Chomsky " ولد سنة ١٩٢٨م ، وأسلوبيته .

٥- الأسلوبية الإحصائيّة .

٦- أسلوبية " جورج مونان George Monin " ومدرسته . ولد سنة ١٩١٠م .

٧- مدرسة " مايكل ريفاتير Micheel Riffaterre .

٨- " المدرسة البنيوية السلوكيّة : Structueal Behaviorism " أو مدرسة ليونارد بلومفيلد Leonard Bloomfield (١٨٨٧م - ١٩٤٩م) .

هـ - فكرة موجزة عن كل مدرسة :

وسنعرض فكرة موجزة عن كل مدرسة من هذه المدارس . وهناك أسماء أخرى معروفة في هذا الميدان مثل : باختين ، بيرجيرو ، إدوارد وشلر ، كارل فوسلر ، ماكس دوتشين ، وماكس جاكوب ، فلوبير ، بيفون ، وغيرهم .

هـ - ١ : شارل بالي وأسلوبيته :

شارل بالي هو المؤسس الأول للأسلوبية . ثمَّ تفرّعت الأسلوبية إلى مذاهب ومدارس شتّى . فقد نقل شارل بالي الأسلوبية من ميدان اللسانيات إلى ميدان خاص مستقل ، يقوم على علاقة اللغة بالتفكير ، فهو يضع نظريّته في التعبير المنطوق ، فالأسلوبية عنده تبحث عن معنى العبارة وسماتها الوجدانية وموقعها في النسق التعبيري ، ولا تبحث عن جماليات النصّ الأدبية . ويرفض قول "بيفون" : " الأسلوب هو الرجل" ، لأن هذا يعني

أن ندرس الأسلوبية الفرديّة ، وهذا مالا يهدف إليه بالي . فأسلوبيّته تعبيرية وصفيّة تهتم بالبنى ووظائفها وبالعلاقة بين الشكل والتفكير ، واللغة اليومية المباشرة هي وحدها موضوع الأسلوب ، ويقول عن الأديب إنه يصنع من اللغة عملاً إراديّاً واعياً ، والأسلوبية الداخلية عنده تدرس توازن العوامل المؤثرة أو تضادّها في النصّ مقابل العناصر الذهنيّة في اللغة الواحدة ، والأسلوبيّة الخارجيّة تقارن بين هذه العوامل في اللغة الواحدة وبين مثيلاتها في لغة أخرى .

هـ - ٢ : الأسلوبيّة الفرديّة أو المثالية :

ليوسبيتزر (١٨٨٧م - ١٩٦٠م) : نمساوي المولد - ألماني النشأة والتكوين ، فرنسي الدراسة والثقافة : أسلوبيته معيارية تكوينية تقريرية ، تدرس الأسباب وتحددها بصورة قريبة من النقد الأدبي .

إنها الصورة المناقضة كليّة لأسلوبية بالي ، لأنها أخذت بذاتية التحليل والتعليل ، ويؤكد سبيتزر أن الأسلوب هو الممارسة العملية لأدوات اللغة . وحملت طريقته مصطلحاً خاصاً هو " السياج الفيلولوجي The Philologic Circle "

ونجد في هذه الأسلوبية بريقاً خاطفاً يكاد يختفي عن ظلال إيمانية لم تتحدد معالمها .

هـ - ٣ : أسلوبية جاكوبسون Roman Jackobson :

ولد سنة ١٨٩٦م فأسس النادي اللساني في موسكو ، وعنه تولدت

مدرسة الشّكليّين الروس، وساهم في نادي براغ. وقدّم محاضرته حول اللسانيات والإنشائية، وقرن الأدب باللسانيات وذلك في ندوة عالميّة سنة ١٩٦٠م في جامعة إنديانا في أمريكا، وكان الأسلوب هو محور هذه الندوة. وقد وضع جاكبسون في نظريته اللسانيّة ستّ وظائف للكلام منطلقاً من نظرية الاتصال أو الأخبار، ومن جهاز التخاطب الذي يتألف من ستة عناصر يؤدي كل عنصر وظيفته:

المرسِل: Addresser: يؤدّي الوظيفة التعبيرية Expressive.

المرسَل إليه: Addrssee: يؤدّي الوظيفة الإفهامية: Conative.

السياق: Context: يؤدي الوظيفة المرجعية: Refrential،

أو المعرفيّة: Cognitive، أو دلالية: Denotitive

الصلة أو القناة: Contact: وتؤدي الوظيفة الانتباهية.

الرمز: Code: يؤدي الوظيفة ليَتأكَّد كل من الطرفين أنه يستخدم نفس الإشارات.

الرسالة: Message: تؤدي الوظيفة الإنشائية أو الشعرية: Poetic.

ويرى جاكبسون أن كل رسالة مهما كانت غايتها فإنها تتضمّن وظيفة أدبية، فلا يوجد لديه درجة الصفر التي يكون عندها الكلام عادياً غير أدبي. والوظيفة الشعرية هي حين تعبر الرسالة عن نفسها، وكأنها الأسلوبية البنيوية، ولا علاقة لها بمعنى الشعر الذي نفهمه في اللغة العربية، ولذلك تسمى أيضاً الإنشائية.

هـ - ٤ : أسلوبية شومسكي Noam Chomsky :

ولد سنة ١٩٢٨م ، لساني أمريكي ، أطلق مذهباً جديداً في اللسانيات هو المذهب التوليدي ، وتأثر بسوسير وتمييزه بين اللغة الساكنة وبين الكلام أو الخطاب ، وطرح " المعرفةَ اللغوية " التي يمكن كل فرد في المجتمع من توليد جمل جديدة لا يكون قد سمعها من قبل ، وتعتبر الأساليب إبداعات متجددة ، والإنسان عنده هو الذي يخلق اللغة من ملكته الفطرية ، والفطرة عنده تحمل مفهوماً علمانياً غير ما في الإسلام .

هـ - ٥: الأسلوبية الإحصائية :

وتميّز هذه المدرسة بين الانحراف الذي يمثل شططاً والانحراف الذي يمثل دلالة ، وهي ترى أن الأسلوب مفهوم احتمالي تقع فيه ظاهرة ما بشرط معين بنسبة احتمالية معيّنة ، وظاهرة أخرى باحتمال آخر ، وهكذا ، ويمكن دراسة توقع حدوث كل ظاهرة أخرى مع وجود شرطها بواسطة التوزيع الاحتمالي ، ويرى دوليجل أن النظرية الإحصائية خلفية لكل نظرية أسلوبيّة ، وأول من اقترح معادلة تمثل دراسة إحصائية هو العالم الألماني بوزمان A.Buzemann لتحديد نسبة التعبير بالحدث إلى التعبير بالوصف ، وعدَّلها عالمان آخران لتصبح النسبة التي تدرس هي نسبة الأفعال إلى الصفات .

هـ - ٦ : أسلوبيّة جورج مونان : George Monin : (ولد سنة ١٩١٠م) :

وهو لساني ناقد فرنسي ، وهو يرى أن الأسلوبية تختلف وتتعدد حسب اختلاف تعريف الأسلوب وتعدده ، فهناك أسلوبيّة تقوم على

" الانزياح " ، وهو الخروج عن الأُسلوب المعتاد ، وهناك أسلوبيّة تقوم على الصنعة ، وأخرى على كيفية ما سنقول ، وغير ذلك ، ويقول مونان : " إن هذا ما يُسميه اللسانيون بالإيحاءات الشخصية ، وهو أمر فرديٌّ متغيّر بعيد عن التصور الاجتماعي " .

هـ ٧ : أسلوبية : مايكل ريفاتير Michael Riffaterre :

يرى ريفاتير أن الأسلوب قوة ضاغطة تتسلّط على حساسيّة القارئ ، بواسطة إبراز بعض العناصر في سلسلة الكلام . ولذلك يرى أن المحلل الأسلوبي يجب أن ينطلق من النصّ ، ولكن من الأحكام التي يبديها القارىء . ويقول " ريفاتير " : " الأسلوبية لسانيات تُعنى بظاهرة حمل الذهن على فهم معبّرٍ وإدراك مخصوص .

هـ - ٨: المدرسة البنيوية السلوكيّة Structural Behaviorism :

أرسى قواعدها اللغوي الأمريكي " ليونارد بلومفيلد Leonard Bloomfield " (١٨٨٧م - ١٩٤٩م) .وسادت في أمريكا حتى سنة ١٩٥٥م. ونقد المذهب " الذهنيَّ الذاتي Mentalism " ، ووضع منهجاً وضعيّاً اختيارياً . وقد حوّلت هذه المدرسة السلوكية علم اللغة إلى علم تصنيفيّ يهتمّ بأصغر وحدات التحليل اللغوي ، وحصرت اهتمامها في قطاع محدود من اللغة ، كما يقول عنها أبناء المدرسة التحويلية التوليدية.

هـ-٩: الأسلوبية المقارنة :

ومن روّادها " إدوارد وُشْلَرْ Edward Wochler " ، و " كارل موسلر Karl Vossler " ، و " وماكس دوتشبين Max Dutshbein ، وهي تدرس أساليب الكلام في مستوى معين من أساليب اللغة الواحدة ، لتبيّن خصائص كلّ أسلوب عن طريق مقارنة بعضها ببعض . وتختلف الأسلوبية المقارنة عن الأدب المقارن في أن الأولى تجري المقارنة في اللغة الواحدة ، والثانية تجريها في عدة لغات .

وأما " رينية ولّيك Rene Wellek (ولد سنة ١٩٠٨م) ، فإنه يقسم الأسلوب إلى نظامين هامّين مختلفين هما : دراسة الأسلوب في كل النطق اللغوي ، ودراسة الأسلوب في أعمال الأدب الخيالي . فنجد لديه الأسلوبيّة التي تدرس لغة واحدة ، والأسلوبيّة المقارنة ، والأسلوبيّة العامة .

ومنهم من يقسم الأسلوبيّة إلى : الأسلوبيّة النظريّة التي تضع القواعد النظريّة ليستخدمها الأديب في تحليله للنصّ ، فهي بذلك من اللسانيات . والأسلوبيّة التطبيقية التي تظهر خصائص النصّ التي تُؤدي إِلى الإقناع . والأسلوبيّة المقارنة التي عرضناها أعلاه .

أردنا من هذا العرض في الصفحات الأخيرة أن نقدّم قضية الأسلوب والأُسلوبية بشكل متدرج قد يساعد على الدخول شيئاً فشيئاً إلى عالم مجهول غامض . فأردنا أن نعرض التعريفات المختلفة لتكون ممهّدة لتوفير ظلال عن هذه القضيّة . ثم عرضنا أهم الاتجاهات لنتقدّم خطوة أُخرى ، ثم عرضنا الوحدات الثلاث الكبرى التي تمثّل أبعد أشكال الافتراق

والاختلاف . وانتهينا بعرض أهم المدارس وأهم رجالها . وكان ذلك كله بصورة موجزة .

و : علاقة الأسلوب والأسلوبيّة باللسانيات والأدب والنقد :

ترى بعض الاتجاهات أن الأسلوب والأسلوبيّة جاءت بديلاً عن علم البلاغة القديم . إلا أننا رأينا كيف أراد " بالي " المؤسس الأول لها أن تكون ميداناً مستقلاً . ويرى الدكتور المسدّي أنه يجب أن يكون لها تصوراتها المستقلّة عن البلاغة وعن سائر الميادين المجاورة لها . ولكن هنالك من الاتجاهات من يرى أن بين البلاغة والأسلوبيّة علاقة وثيقة ، ثمّ يأتي آخرون ليقرروا أن علاقتها الوثيقة هي مع النقد الأدبيّ وليس مع البلاغة . وينهض آخرون ليعارضوا ذلك ويقولوا إن الأسلوبيّة بعيدة عن النقد الأدبي .

وبعد ذلك كله : فما هي الأسلوبيّة وأي ميدان ترتبط به ، أم أنها تائهة في ميدان خاص بها ، واسع فسيح ، حتى تكاد تكون أيَّ شيء أو لا شيء !

وفي جميع الحالات هي ولادة بنيويّة علمانيّة بعيدة عن حقائق العلم ، أخذت من البنيوية والعلمانيّة الغموض والتفلّت . ولابد أن نذكر بعد هذه الجولة كلمة ريتشارد برادفورد التي سبق ذكرها : " إن الأسلوبيّة محيّرة ، مراوغة ، كثيرة الغموض والمزالق ، سريعة الإفلات من اليد " .

(٢)
موضوعات متفرّقة
في الأسلوب والأسلوبيّة

أ – الشكليون : The Formalists

هؤلاء يمثلون حركة أدبيّة ظهرت في روسيا خلال الثلث الأول من القرن العشرين ، وقد انطلق الشكليون من حركة " أبياز " الجمعية التي تكونت لدراسة الكلام الأدبي سنة ١٩١٧م وكانت قد تكونت قبل ذلك حلقة موسكو اللسانية سنة ١٩١٥م.

حصرت هذه الحركة دراستها في النصّ مغفلة أي دور للعوامل الاجتماعية أو النفسية . وهذه المدرسة ترى أن الشكل والمضمون، واللفظ والمعنى يكونان وحدة عضوية واحدة . والشكل عندهم يعني العلاقات التي تربط العناصر التي يتألف منها كل كلام أدبيّ أو غير أدبي .

ب – النظرية التوليدية The Generative Grammar

وضع هذه النظرية ناعوم شومسكي وزاليج هاريس ، ويريان أن الأساس الأول الذي تقوم عليه هذه النظرية هو الاستعدادات اللغويّة الكامنة عند الإنسان دون سواه من الأحياء . ويرون أن كل لغة تتألف من عدد من القوانين المحدودة التي تملك القدرة على توليد جمل جديدة غير محدودة . ويعرف شومسكي اللغة بأنها ملكة فطريّة تكتسب بالحدس .

ولكن ماهي الفطرة ومن أوجدها وأوجد الملكة وما هي حقيقة الحدس؟! أسئلة تظل تحتاج إلى مراجعة ما يقولون عنها، ولكن الله سبحانه وتعالى بيّن لنا الفطرة وما أودع فيها. ولكن لدى هؤلاء تظل هذه المصطلحات: الفطرة، الملكة، الحدث، ألفاظاً لا تحمل معنى محدّداً.

إذا قصدنا أنه من قواعد اللغة ونحوها يمكن أن تنشأ لدى الناس جمل غير محدوده، فهذه بديهة ما دام الناس يستخدمون اللغة، فستأتي جمل متشابهة وجمل غير متشابهة، ويمتدّ هذا امتداد الحياة. ولكن إذا قصد بعضهم أن النصّ الواحد يولّد نصوصاً لا متناهية، وأراد أن يطبق ذلك على الآيات والأحاديث، فهو قول باطل ونظريته مرفوضة.

جـ - الإشكالية Problamatic

الإشكالية هي موضوع مطروح للبحث أو مسائل في علم من العلوم، تأتي في سياق فكريٍّ معيّن. وهي تدخل في إطار نظريّة المعرفة. ويمكن أن تكون قضيّة علمية أو فلسفيّة.

د - الوظيفة الشعرية Poetic Function

لقد حدد " باختين " وظائف الكلام بثلاث: **الإفهامية، والمرجعيّة، والانفعالية**، وجاء جاكوبسون فأضاف ثلاث وظائف أخرى، وحدّد لكل وظيفة عنصراً يقوم بها. فأصبح لديه في نظرية الاتصال ستة عناصر وست وظائف سبق عرضها. ونوجز الوظائف بما يلي: التعبيريَّة، الإفهامية،

المرجعية ، القناة أو الصلة ، الرمز ، الرسالة . والوظيفة الشعرية هي وظيفة عنصر " السياق : Context " ، الوظيفة التي تجعل التركيز على الرسالة لصالح الرسالة الخاص بها ، فيتحرّر النصُّ من كل رقابة ، ويصبح ذات نفسه ، دون اعتبار لكونه لغة يومية أو غير ذلك .

وقد أخذ الحداثيون عندنا هذه التسمية "الشعرية" ومفهومها عند جاكبسون ، واعتبروها المفهوم للشعر الذي أخذوا يدعون إليه ، ولكنَّ هذا المصطلح عند جاكبسون لا علاقة له بالشعر . إنه مصطلح لوظيفة "السياق عند جاكبسون ، يتحرّر بها النصّ ، أي نصّ ، من كلِّ رقابة .

(٣)
أهمّ المآخذ
على تصوّرات الأسلوب والأسلوبية
في الفكر الغربي العلماني

أ - المأخذ الرئيس الجامع :

هنالك مأخذ رئيس جامع ، وهو أن "الأسلوبية" منطلقة في جذورها من العَلمانيّة والبنيوية ، وأنها عزلتْ نفسها عن كلِّ تصوّر للدار الآخرة والغيب والإيمان والتوحيد ، فافترقت التصوّرات كلها بعد ذلك في نهجين مختلفين لا يلتقيان ، وأنزلوا الدين دون دراسته منزلة لا تليق بالدين وحقيقته ، أو أنكروه .

ب- محاولتهم إخضاع كل شيء للتجارب والعلوم التطبيقية البشرية ، ولو كانت مما هو خارج عن طاقة الإنسان وحدوده التي خُلق لها ، ومحاولتهم فهم الكون اللامحدود بالنسبة للإنسان بعقول محدودَة ومكان محدود وزمن محدود ، مما يخالف أبسط قواعد المنطق والعقل والعلم .

ج - اختلطت بعد ذلك مفهومات كثيرة ومصطلحات كثيرة ، مثل : كلمة الخلق ومشتقّاتها ، وكلمة الإبداع ومشتقاتها ، واختلطت معاني الأدب والنقد واللسانيات .

د- يزعمون أن النصّ يخلق ، وأنّ النصَّ وحده خلق شجرة الزّقوم ، إذ

لا وجود للشجرة خارج النصّ . فأنكروا نصّاً ثابتاً في القرآن ، وأنكروا أن الله هو الذي خلق شجرة الزقوم لتكون طعام الكافرين المجرمين المنكرين للحق في نار جهنم ، وأنكروا أن الله هو الذي خلقهم وخلق كل شيء والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٣) ﴾ [فاطر : ٣]

ويقول :

﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٢) ﴾ [الزمر : ٦٢]

هـ - يقول بعضهم إن النصّ مرتبط بالمتلقي وكذلك الأسلوب والأسلوبيّة ، ويقول آخرون : إن النصّ منغلق على ذاته ، وأن المؤلف أو الكاتب يعتبرونه قد مات ! ونقول : إن النصّ وكل كلمة مرتبط بصاحبه وقائله ، محاسب عليه ومسؤول عنه في الدنيا وفي الآخرة :

﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨) ﴾ [ق : ١٨]

وفي الحديث الشريف الذي يرويه معاذ رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم يرد قوله صلى الله عليه وسلم :

(.. وهل يكُبُّ الناس على وجوههم (أو قال مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم..) . فالأسلوبيّة ضيّعت "المسؤوليّة" التي حدّدها الإسلام وقرر مفهومها ومحتواها .

و- أهملت الأُسلوبيّة أخطر القضايا التي قررها الإسلام ، ألا وهي " النية " في القول والعمل ، النيّة التي جعلها الإسلام الأساس الراسخ في كل عمل وكل نشاط وكل ميدان : " **إنما الأعمال بالنيّة ...** " . فبإهمال النيّة وإهمال المسؤولية يصبح الكلام يُلقى جزافاً على عواهنه !

ز - يقولون إن الإنسان يقول هرباً من زواله ، ويقرأ بهجة بدوامه . والإسلام يقول إن الإنسان رهن بما ينوي وما يقول وما يفعل :

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [المدثر : ٣٨]

ويقول ويقرأ ويعمل عبادة لله وطاعة لله ، ووفاء بالأمانة التي حملها وخُلِقَ لها والرسالة التي يدعو لها .

ح - الإنسان ليس نطفة غير مخلّقة كما تقول الأسلوبيّة . فالنطفة لا تكون مخلّقة أو غير مخلّقة ، وإنما هي المضغة في رحم المرأة . والأسلوبيّة تقول إن الإنسان لا يستوي خلقاً وكمالاً إلا في رحم اللغة . فهذا التعبير باطل حتى لو كان من باب المجاز ، والإسلام يقول إن الإنسان يستوي خلقاً في رحم المرأة بقدر من الله الذي أحسن كلَّ شيء خلقه ، وأن آدم وحواء استويا خلقاً في الجنّة .

ط - الأسلوبيّة تنزل القرآن الكريم كسائر النصوص ، ويذكرون اسم الجلالة دون إجلال ولا خشية ، كما يذكرون أي كاتب أو مؤلف : مثل : المرسل والمرسَل إليه والنصٍّ .

ي - النظريّة التوليديّة ، إذا انطبقت على شيء ، ولا أظنها تنطبق ، فإنها لا تنطبق على كتاب الله . وما استشهد به بعضهم من نصّ أخذه عن ابن رشد في كتابه " بداية المجتهد ونهاية المقتصد " ، فإنه أخذه مجزوءاً فاختل المعنى ، وأوّل تأويلاً فاسداً .

ك - يستغل بعض الأسلوبيين بعض المصطلحات الواردة عند بعض علماء المسلمين مثل كلمة "التخييل" التي استخدمها حازم القرطاجني وابن سنان الخفاجي ، ليستدلوا على صحة ما يتوهمونه . فكلمة " التخييل " عند علماء المسلمين تحمل معنى وظلالاً بعيدة عن تيه الأسلوبيّة وغيبوبتها .

ل - كان رجال الأسلوبيّة والحداثة والبنيوية عندنا ناقلين تابعين للغرب ، ولكنهم عزوا ما نقلوه لأنفسهم ، حتى قال د. المسدي : "لو قُدِّر لروّاد النهضة العلمانية الغربية أن يحذَقوا العربيّة فيقرؤوا ما يكتبه أبناء العرب ، لشدَّهم الندم أو لانتابتهم نخوة السيادة الخالدة " .

م - اعتمد الأسلوبيون في كلّ مذاهبهم جزئيّة جعلوا منها حقّاً شاملاً . وكان هذا أحد أسباب تعدّد المذاهب على قدر تعدد الجزئيات . واعتمدوا الظنُ والوهم وأنزلوه منزلة العلم وأوهموا الناس بذلك .

ن - رجال الحداثة والبنيوية والأسلوبية في الغرب درسوا ما شاؤوا من المبادىء واللغات ، إلا الإسلام والكتاب والسنّة واللغة العربيّة . فاللغة العربية متميّزة من كل لغات الأرض ، لذلك اختارها الله لغة دينه ووحيه

وعبادته ولغة المسلمين كافة . فلا مجال لأن تنطبق مذاهب الأسلوبيّة على اللغة العربية ، اللغة التي سار بها علماؤها على نهج مستقيم يوجهه الكتاب والسنة والإيمان والتوحيد ، نهج مغاير لنهج أولئك ، نهج كشف بعض كنوزها وخصائصها !.

الباب الرابع

الأسلوب والأسلوبيّة

في التصوّر الإسلامي

الأسلوب والأسلوبيّة
في التصـــوّر الإِسلامـي

١- موجز قانون الفطرة : ودوره في ولادة النص الأدبي والأسلوب:

الأسلوب يخرج من الأديب من فطرته داخلاً في نسيج النصّ الأدبي الذي يدفعه الأديب . فهو جزء لا يتجزّأ من النص ، والنصّ لا ينفصل عن الأديب ، والأديب لا ينفصل عن فطرته التي فطره الله عليها ، حتى ولو فسدت الفطرة أو تشوّهت ، وفسد الإيمان ، وطُويت المسؤولية والنيّة ، فيظل الإنسان مسؤولاً ومحاسباً بين يدي الله .

أطرح هذا التصور منبثقاً مما أسميه " **قانون الفطرة** " ، القانون الذي نصّ عليه الكتاب والسنة . فالفطرة ، كما نتصوَّرَها ونتصورَ عملها على ضوء الآيات والأحاديث ، نشبّهها بالمستودع الذي أودع الله سبحانه وتعالى فيه ما يشاء من القوى والقدرات والميول والغرائز ، لتعمل كلها على سنن ربانيّة ندرك طرفاً منها ونجهل أطرافاً .

الطاقة الأولى التي أودعها الله فطرة الإنسان ، كل إنسان ، هي الإيمان والتوحيد . وكأنها نبع صاف غنيّ ، تفتحه النيّة الصادقة ليرويَ جميع ما في الفطرة من قوى وميول ريّاً متوازناً حتى تُؤدِّيَ كل طاقة الدور الذي خُلقت له .

وكذلك الطاقة الفكرية أو العقل . فالعقل ليس حجماً مادياً في جسم

الإنسان . إنه قدرة وطاقة تكونها أجهزة متعددة في جسم الإنسان ، كالدماغ والجهاز العصبي وغير ذلك ، ويشغلها كلها القلب كما جاء في الآيات والأحاديث .

وكذلك الطاقة العاطفية ، الشعور والإحساس ، طاقة مغروسة في الفطرة يغذيها نبع الإيمان في الإنسان المؤمن حيث يُخْلِصُ النيّة ويصدق الله بها .

وقوى وغرائز أخرى كالموهبة وهي طاقة متميّزة يضعها الله فيمن يشاء من عباده .

ويتلقى الإنسان في مسيرة حياته زاداً متنوعاً من الواقع ، ومن التجارب والأحداث واللغة والعلوم المختلفة . يدخل هذا الزاد إلى فطرة المؤمن ، فيمرّ أولاً بنبع الإيمان والتوحيد ليُصفَّى ويُغْسل ، ثم يمضي ويستقر على الطاقة الفكرية وعلى الطاقة العاطفية كما تستقر شحنات الكهرباء الساكنة على قطبين ، وتنمو هذه الشحنات بمختلف أنواع الزاد مع مسيرة الحياة حتى تأتي لحظة محدّدة بقدر الله ، فتأتي الموهبة فتشعل التفاعل بين القوتين : الفكرية والعاطفية وما عليهما من شحنات وزاد ، فيخرج العطاء من الإنسان ومضة مشرقة من هذا التفاعل ، أدباً أو علماً ، على ضوء الموهبة والزاد . وذلك كله بطريقة ربّانيّة لا ندرك إلا طرفاً منها . فيخرج النصّ الأدبي يحمل الموضوع والأُسلوبَ والشكلَ وسائر خصائصه الإيمانية والفنيّة ، ومن ناحية ثانية يضم التفاعل بين هذه القوى في فطرة الإنسان

تفاعلاً بين الخصائص الإيمانيّة والخصائص الفنيّة ليخرج النصّ الفني في الأدب الملتزم بالإسلام حاملاً الخَصائص الإيمانية والفنية وشعلة التفاعل بينها . (١)

من هنا نرى أولاً شدة ارتباط النص الأدبي وموضوعه بالأديب نفسه وبفطرته والقوى المغروسة فيها والزاد الذي يحمله من البيئة والواقع ومسيرته في الحياة .

٢- العناصر الرئيسة التي تَبْني الأدب والنصح الأدبي (٢) :

ونرى من خلال ذلك العناصر الرئيسة التي تبني الأدب والنقد (النصح) والتي نقسمها إلى قسمين :

أ - العناصر المتعلقة بالأديب مباشرة : العقيدة ، خصائص الأديب ، بيئته والواقع .

ب - العناصر المتعلقة بالنصّ مباشرة : الصياغة الفنية ، الجنس الأدبي ، الموضوع ، الأسلوب ، الشكل .

ونرى كذلك أهمية العوامل المؤثرة في بناء النصّ الأدبي وجماله مما أَغفلته الدراسات الأسلوبية كلها ، ومنها : الإيمان والتوحيد ، النيّة ، سائر القوى العاملة في فطرة الإنسان ، المسؤولية ، الحساب وغير ذلك .

ويصبح الجمال في النصّ الأدبي في الأدب الملتزم بالإسلام ثمرة العناصر السابق ذكرها ، وثمرة التفاعل بينها ، والتفاعل بين الخصائص الإيمانيّة والفنّية .

(١) و "التربية في الإسلام - النظرية والمنهج" و "النهج الايماني للتفكير" للمؤلف .
(٢) الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته : (ط ٤) ، النقد الأدبي المعاصر بين الهدم والبناء (ط ١) للمؤلف .

٣ – الأسلوب (١) :

والأسلوب نعرّفه في هذه الحالة بأنه الطريقة التي تجمع العناصر والعوامل السابق ذكرها جمعاً يسمح لكل عامل بأداء دوره الخاص به ، ثم أداء دوره مع العوامل المتماسكة مجموعة واحدة في تفاعل داخل الإنسان . ويُولَد الأسلوب مع النصّ الأدبي داخلاً في نسيجه مع الخصائص الإيمانية والفنيّة . ومن خلال تفاعل العناصر الأدبية كلها في داخل الإنسان يبرز الجمال في النصّ في الأدب الملتزم بالإسلام .

ويمكن على ضوء ذلك أن نقسم الأسلوب إلى ثلاثة أنواع :

الأُسلوب العام : الذي يجمع العوامل والعناصر الأدبية ليجري بينها التفاعل .

أسلوب العناصر الفنية : وهو الأُسلوب الخاص ببناء كل عنصر وتحديد دوره .

أسلوب النثر والشعر : فللنثر أساليبه ، وللشعر أساليبه .

وهنالك عوامل تبني الأسلوب : الإنسان ، اللغة ، البيئة ، وعوامل توجهه وتحمله وتدفعه : الموضوع الفني ، الرأي العام ، الجنس الأدبي .

٤ – الجمال في النص الأدبي (٢) :

أ – الأدب بين الجمال والزخرف :

(١) ، (٢) الأدب الإسلامي انسانيته وعالميته ط : ٤ للمؤلف .

ومن أهم ما يميز الأسلوب في الأدب الصورة والحركة ، لتزيد من أثر الجمال في النفس .

إن توافر **الجمال** في النص الأدبي ضرورة لأنه **جمال** هادف ونصّ هادف ، يحمل رسالة ربانيّة في واقع الحياة . فكلمة **الجمال** خاصة بالحسن الطاهر النظيف لأن الله سبحانه وتعالى نسب الجمال إلى نفسه : " **إن الله جميل يحب الجمال ويحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها** " . فارتبط " **الجمال** " لفظاً ومعنى بالله سبحانه وتعالى .

و " **الزينة** " كلمة عامة تنقسم إلى قسمين : " **الجمال** " كما عرضناه طاهراً نظيفاً صالحاً ، و " **الفتنة** " شرٌ وفساد ورجس ، فالزينة قد تكون جمالاً أو فتنة .

و" **الزخرف** " لفظة قريبة من " الزينة " ولكنها تهوِّن من أمرها وشأنها.

ب - العوامل المؤثرة في الجمال :

النيّة : هي القوة الدافعة للجمال : العامل الدافع الذي يطلق نبع الإيمان ليروي غراس الفطرة كلها .

الموهبة : هي القوة التي تثير التفاعل : العامل المطلق للتفاعل .

الموازنة : العامل المنظم .

ج - الصور الأربع للجمال :

الصور الأربع للجمال نوجزها كما يلي :

- **جمال الموضوع والقضيّة .**
- **جمال الجرس .**
- **جمال الصورة .**
- **جمال الحركة .**

ومن هذا العرض السريع الموجز نجد كيف أنّ الإسلام يقدّم التصوّر الأشمل والأدقّ للأسلوب والأسلوبية والعوامل والعلاقات . فنرى أن الأسلوب ينطلق من الأديب مع النصّ ويظل مرتبطاً به ، مسؤولاً عنه حتى يوم القيامة . ونرى أن العوامل التي تؤثر في النص والأسلوب منها ما يتعلق بالأديب ، ومنها ما يتعلق بالمتلقي أو الجمهور ودور الإعلام والأمنٍ في واقع الأمة ، تتفاعل كلها بطريقة ربانيّة ، في ذات الأديب فيخرج النصّ من الأديب يحمل كلَّ خصائصه ، يحمل جماله أو قبحه ، قوّته أو ضعفه ، أسلوبه ، شكله ، وغير ذلك .

لقد عرضنا هذه القضايا بصورة موجزة هنا ، موجزة جدّاً على قدر ما يحتمل الإيجاز ، ونجد هذه القضايا مفصلة في الكتب التالية :

- **الأدب الإسلاميُّ إنسانيته وعالميته .**

- **النقد الأدبي المعاصر بين الهدم والبناء .**

- **الأسلوب والأسلوبية بين العلمانيّة والأدب الملتزم بالإسلام .**

- **أدب الوصايا والمواعظ** (موجز أوسع من هذا الموجز) .

- التربية في الإسلام - النظريّة والمنهج .

- النهج الإيماني للتفكير .

في هذه الكتب نقدم نظريّة الأدب الملتزم بالإسلام ونهجه وخصائصه ، وكذلك نظرية النصح الأدبي (النقد) ونهجه وخصائصه .

فهرس كتاب

" الموجز في دراسة الأسلوب والأسلوبية "

صدر للمؤلف

الرقم	اسم الكتاب	الطبعة
أولاً كتب توجز النهج العام والنظرية العامة للدعوة الأسلامية :		
١	موجز النهج العام للدعوة الإسلامية وأساس لقاء المؤمنين	ط١
٢	موجز النظرية العامة للدعوة الإسلامية والنهج العام وأساس لقاء المؤمنين	ط٢
٣	أضواء على طريق النجاة	ط١
٤	النهج والممارسة الإيمانية في الدعوة الإسلامية	ط٤
٥	كيف تلتقي الجماعات الإسلامية	ط١
ثانياً : كتب تفصل النهج العام والنظرية العامة في الدعوة الإسلامية :		
٦	دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية	ط٦
٧	منهج المؤمن بين العلم والتطبيق	ط٥
٨	النظرية العامة للدعوة الإسلامية نهج الدعوة وخطة التربية والبناء	ط٣
٩	منهج لقاء المؤمنين	ط٢
١٠	لقاء المؤمنين – أسسه وقواعده – الجزء الأول	ط٤
١١	لقاء المؤمنين – الأهداف – الجزء الثاني	ط٤
١٢	العهد والبيعة وواقعنا المعاصر	ط٣
١٣	قبسات من الكتاب والسنة تدبر وظلال – الجزء الأول	ط٢
١٤	قبسات من الكتاب والسنة تدبر وظلال – الجزء الثاني	ط١

الرقم	اســـــم الكتـــــاب	الطبعــة
١٥	الفقه امتداده وشموله في الإسلام بين المنهاج الرباني والواقع	ط١
١٦	الإسلام أركان وبناء - تذكير ونصح	ط٢
١٧	فقه الإدارة الإيمانية في الدعوة الإسلامية	ط١
١٨	المسؤولية الفردية في الإسلام : أسسها وتكاليفها وتميزها	ط١
١٩	التربية في الإسلام - النظريّة والمنهج .	ط١
٢٠	النهج الإيماني للتفكير	ط١
٢١	عهد الله والعهد مع الله بين التفلت والالتزام	ط١
٢٢	حتى نتدبّر منهاج الله	ط١
٢٣	حتى نغيّر ما بأنفسنا	ط١
٢٤	لؤلؤة الإيمان فريضة طلب العلم ومسئولية المسلم الذاتية (المنهاج الفردي)	ط١
٢٥	النهج موضوعات ومصطلحات	ط١
ثالثاً : كتب تعرض أهم قضايا التوحيد في واقعنا المعاصر والنهج للدعوة والبلاغ والبيان:		
٢٦	التوحيد وواقعنا المعاصر	ط٣
٢٧	الحقيقة الكبرى في الكون والحياة	ط١
٢٨	النية في الإسلام وبُعدها الإنساني	ط١
٢٩	النية إشراقة في النفس وجمال	ط١
٣٠	الولاء بين منهاج الله والواقع	ط٤
٣١	الحوافز الإيمانية بين المبادرة والالتزام	ط٤
٣٢	الخشــــــوع	ط١

الرقم	اســـــم الكتـــــاب	الطبعـــة
رابعاً: كتب تدرس بعض القضايا الفكرية في الواقع وأهم أحداثه، وتعتبر الملاحم جزءاً من دراسة الواقع:		
٣٣	الشورى وممارستها الإيمانية	ط٤
٣٤	الشورى لا الديمقراطية	ط٥
٣٥	الصحوة الإسلامية إلى أين ؟	ط٣
٣٦	التعامل مع مجتمع غير مسلم من خلال الانتماء الصادق إلى الإسلام	ط١
٣٧	واقع المسلمين أمراض وعلاج	ط١
٣٨	بناء الأمة المسلمة الواحدة والنظرية العامة للدعوة الإسلامية	ط١
٣٩	المسلمون بين العَلمانية وحقوق الإنسان الوضعية	ط١
٤٠	المرأة بين نهجين الإسلام أو العلمانية	ط١
٤١	على أبواب القدس	ط٣
٤٢	فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع	ط٤
٤٣	عبدالله عزام أحداث ومواقف	ط١
٤٤	حوار الأديان – دعوة أم تقارب أم تنازل	ط١
٤٥	الانحراف	ط١
٤٦	كيف ضيِّعت الأمانة التي خلقنا للوفاء بها	ط١
٤٧	حرّية الرأي في الميدان	ط١
٤٨	هذا هو الصراط المستقيم فاتَّبعوهَ .	ط١
٤٩	المسلمون بين الواقع والأمل.	ط١

الرقم	اســـــم الكتـــــاب	الطبعـة
خامساً : كتب تدرس الأدب الملتزم بالإسلام والنقد (النصح) الأدبي، وترد على المذاهب الأخرى:		
٥٠	الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته	ط٤
٥١	الأدب الإسلامي في موضوعاته ومصطلحاته	ط١
٥٢	النقد الأدبي المعاصر بين الهدم والبناء	ط١
٥٣	أدب الوصايا والمواعظ في الإسلام منزلته ونهجه وخصائصه الإيمانية والفنية	ط١
٥٤	لماذا اللغة العربية ؟	ط١
٥٥	الحداثة في منظور إيماني	ط٤
٥٦	تقويم نظرية الحداثة وموقف الأدب الإسلامي منها	ط٢
٥٧	الأسلوب والأسلوبية والأدب الملتزم بالإسلام	ط١
٥٨	الموجز في دراسة الأسلوب والأسلوبية	ط١
٥٩	الشعر المتفلّت بين النثر والتفعيلة وخطره	ط١
سادساً : الـدواويـن الشعـريـة :		
٦٠	ديـوان الأرض المباركـة	ط٦
٦١	ديوان موكب النور	ط٤
٦٢	ديوان جراح على الدرب	ط٣
٦٣	ديوان مهرجان القصيد	ط١
٦٤	ديوان عبر وعبرات	ط١
سابعاً : الملاحم الشعريه وتعتبر جزءاً من دراسة الواقع وأحداثه.		
٦٥	ملحمة فلسطين	ط٥

الرقم	اسم الكتاب	الطبعة
٦٦	ملحمة الأقصى	ط٢
٦٧	ملحمة الجهاد الأفغاني	ط٣
٦٨	ملحمة البوسنة والهرسك	ط٢
٦٩	ملحمة الإسلام في الهند	ط٢
٧٠	ملحمة القسطنطينية	ط٢
٧١	ملحمة الغرباء	ط٣
٧٢	ملحمة أرض الرسالات	ط١
٧٣	ملحمة الإسلام من فلسطين إلى لقاء المؤمنين	ط١
٧٤	أكثروا ذكر هاذم اللذات - أب يرثي ابنه	ط١
٧٥	درةُ الأقصى	ط١
ثامناً : كتب في الدعوة الإسلامية باللغة الإنجليزية :		
٧٦	خطة الداعية (The Caller's Plan)	ط٢
تاسعاً : كتب ترجمت إلى لغات أخرى :		
٧٧	لقاء المؤمنين - الجزء الأول «ترجم إلى اللغة التركية»	ط١
٧٨	فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع «ترجم إلى اللغة التركية»	ط١
٧٩	فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع « ترجم إلى اللغة الإنجليزية »	ط١
٨٠	لماذا اللغة العربية « ترجم إلى اللغة الأوردية »	ط١
عاشراً : كتُب في علوم أخرى :		
٨١	دراسة الموجات الألكترومغناطيسية «باللغة الإنجليزية»	ط١

الرقم	اسم الكتاب	الطبعة
أحد عشر: الصوتيات والمرئيات:		
٨٢	أضواء على طريق النجاة	كاسيت وفيديو
٨٣	لمحة عن واقع المسلمين أمراض وعلاج	كاسيت وفيديو
٨٤	الإسلام أركان وبناء - تذكير ونصح	كاسيت وفيديو
٨٥	الأسلوب والأسلوبية	كاسيت وفيديو
٨٦	درة الأقصى	كاسيت وفيديو
٨٧	النية والأمانة إشراقة في النفس وجمال	كاسيت وفيديو
٨٨	حديث النفس بين الدنيا والآخرة	كاسيت وفيديو
٨٩	التعامل مع مجتمع غير مسلم	كاسيت وفيديو
٩٠	وأن هذا صراطي مستقيم فاتبعوه	كاسيت وفيديو
٩١	قضايا في الأدب الملتزم بالإسلام	كاسيت وفيديو
٩٢	المسلمون في الغرب بين الإسلام والعلمانية	كاسيت وفيديو
٩٣	محاضرة الوصايا والمواعظ	كاسيت وفيديو
٩٤	ندوة شعرية - عمان	كاسيت وفيديو
٩٥	ندوة شعرية عن فلسطين	كاسيت وفيديو
٩٦	ندوة شعرية - جامعة قطر	كاسيت وفيديو
٩٧	ندوة شعرية - مؤسسة (مركز) الملك فيصل	كاسيت وفيديو



دار النحوي للنشر والتوزيع

هاتف : ٤٩٢٤٣٣٩ - فاكس : ٤٩٣٤٨٤٢

موقع الانترنت : www.alnahwi-publishing.com

البريد الإلكتروني : info@alnahwi-publishing.com

ص . ب : ١٨٩١ الرياض : ١١٤٤١

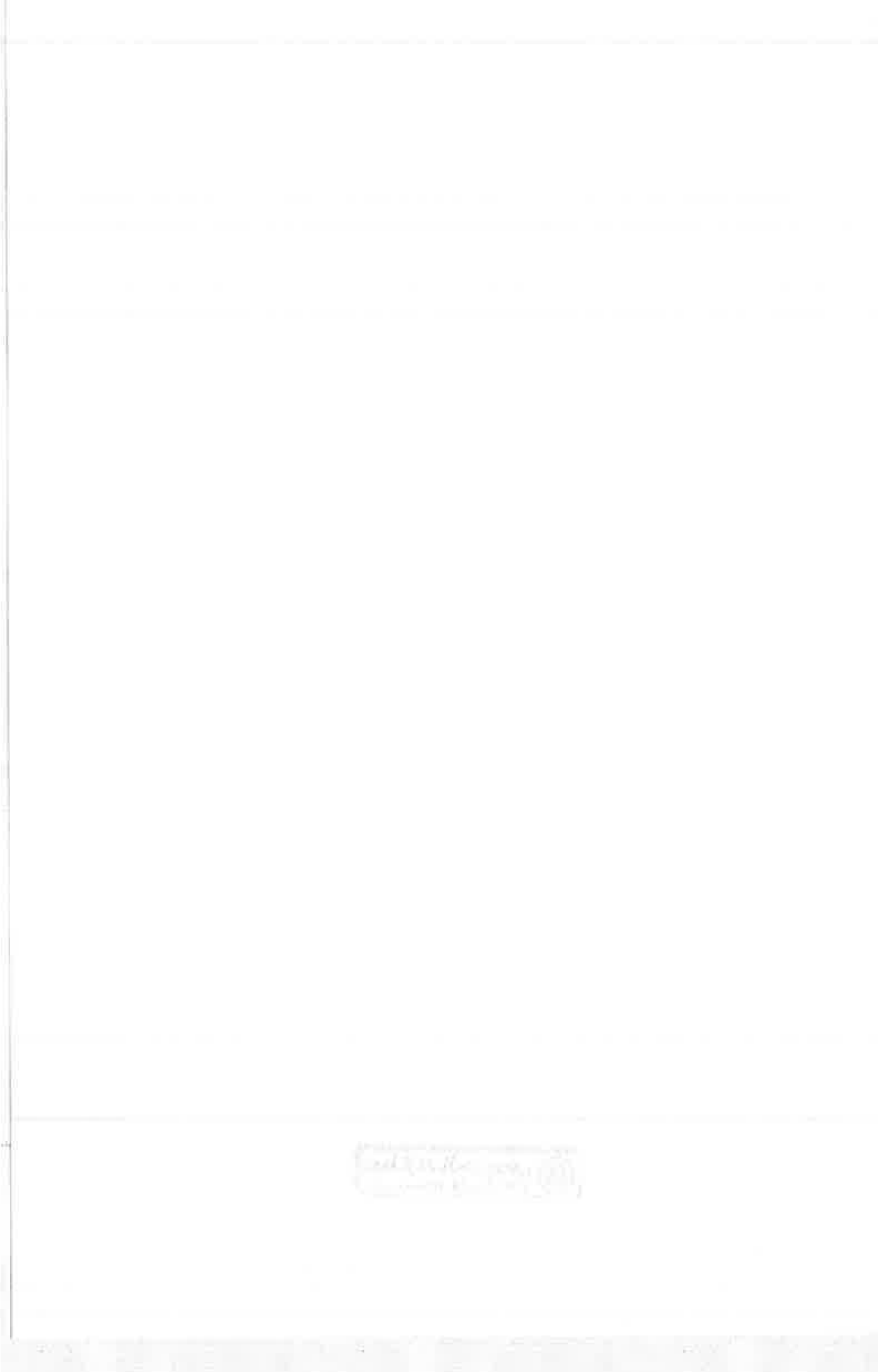
المملكة العربية السعودية

صف الكمبيوتر والتصميم والإخراج الفني بالتعاون مع :

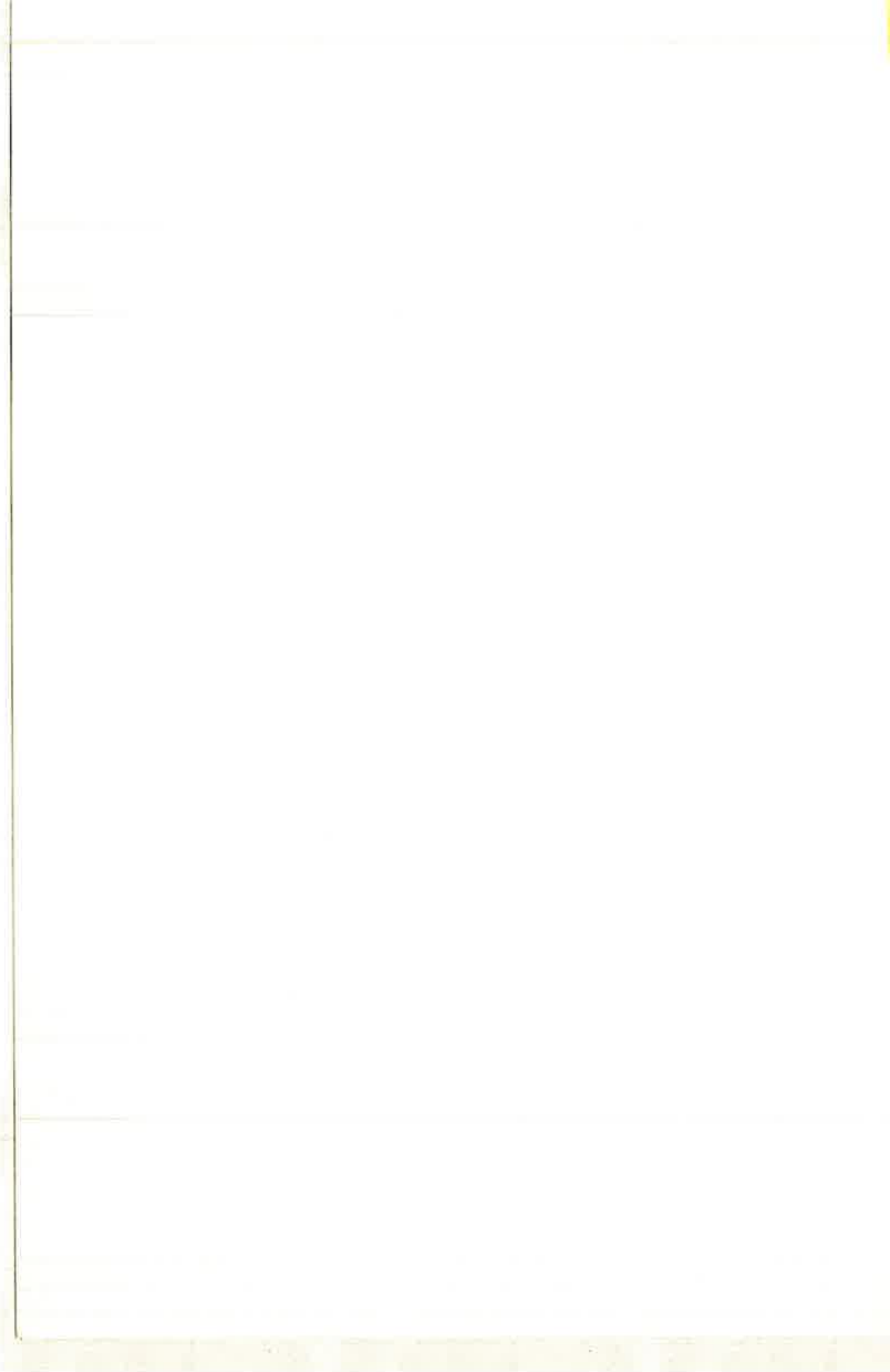
وكالة وادي العمران - الرياض - هاتف ٤٧٣٣٠٥٠ - ٢٨٣١٦٧٥ جوال : ٠٥٣٢٠٧٣٥٠

١٠٥






مطابع الحميضي
تلفون: ٤٥٨١٠٠٠ - فاكس: ٤٥٩٢٢١٧



مع هـذا الكـتاب

« **الأسلوب والأسلوبية** » موضـوع جديد في ميـدان الفكر والأدب ، ظهر في الربع الثاني من القرن العشرين ، وكـان أول من بدأ بها « شارل بالي ، تلميذ دي سوسير » . ثم انطلقت مذاهبـها في تيارات مختلفة متضاربة مصـاحبة لتيارات الحداثة والبنيوية والتفكيكية ومنطلقة منها .

لقد كـانت كلمة « **الأسلوب** » ومايرادفـها في اللغـات الأخرى كلمة واضـحة لدى العـامـة والخاصـة ، وكـان هنالك دراسـات وتصورات للأسـلوب واضحـة كذلك مـهمـا اختلفت فـيها وجـهات النظر . بل أكـثر من ذلك ، كـانت الدراسات حـول الأسلوب مـفيدة للأديـب ومايـنتـجـه الأديب ، مـسـاعـدة على نمو العطاء والإتقان والإحسان فيه .

وحسب مـا أعتقـد ، فقد جاءت الدراسات الحـديثة « **للأسلوب والأسلوبية** » لتطرحه في متاهة واسعة من مظان الفلسفة وسراديبـهـا ، دون أن تكون عاملاً مسـاعـداً للأديب أو لعطائه ، أو للأدب بصـفـة عـامـة . هذا هو الشـعـور الذي تملكني وأنا أدرس هذه القضية في متاهاتها المظلمة .

ومهما يكن من وجهات نظر مختلفة حول هذا الموضـوع بين بعض الأدباء ، إلا أن الذي يجب ألا يختلف فيه هو رفض ماورد من إساءة للتـصور الإيماني ، والإساءة في تأويل فاسد لبعض الآيات الكريمة .

يتلقى بعضـهـم مايرِدُنا من العالم الغـربي اللاديني والعلماني ، تلقـي القـبول والاستـسلام ، دون أدنى محـاولة للتمحـيص والتدقيق ، ورد الأمـور إلى منهاج الله . وقـد بلونا من ذلك كـثيـراً . ولم يدرك بعض أبناء المسلمين أن بين مـايردنا سمّاً زعـافاً طواه الزخرف المغري . والأعجـب أن أكثر ماأخذناه كـان في ميدان فـتنة الفـكر والخلق ، وفسـاد الممـارسـة وانحـلال القيم ، وقليلـون أولئك الذين يتسـاءلون كيف دخلت علينا أنواع الرقص وجنون الغـنـاء ولهيب الفاحـشة ، ولم تدخل الصناعة التي تعين على حمـاية ديارنا وأعراضنا وأموالنا ؟! كيف دخلت شعارات **مسـاواة المرأة بالرجل** ولم تدخل **مساواة الإنسان بالإنسان** في مـيدان الإنسانية وشعارات الديموقراطية وحقوق الإنسان ؟! كيف جاء طوفان الإعلام يدعـو إلى جـمـيع أشكال هذه الفتن ولم يدع إلى حق المسلمين بأن يمتلكوا القوة العلمية والصناعية والعسكرية ؟!.

كيف رضي بعض المسلمين من خلال دعـوة السلم والسلام أن نلقي أسلحتنا ويمضي الغرب ينـمي أسلحته الفتاكة المبيـدة ؟

ردمك، ٤-٧٢-٦٨٧-٩٩٦٠

مطابع الحميضي